الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جـامعـة المـرقـب

كـلية الآداب والعـلوم بـزليتن

الـدراسـات العليـا

قسـم التـاريـخ

نـور الـديـن محمـود زنكـي

ودوره فـي مقـاومـة الغـزو الصليـبي

(٥٤١هـ - ٥٦٩هـ/١١٤٦م - ١١٧٤م)

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعـداد

الطالبة : عيادة عاشور هرهور

إشـراف الأسـتاذ الـدكـتور

عبد الحكيـم غنتاب الكعبـي

العام ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ف



﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾



(سورة الأحزاب : الآية ٢٣)

الإهـــــداء

إلى روح والدي رحمه اللّه تعالى داعية اللّه أن يجمعني به في الآخرة في جنات النعيم

إلى سر الوجود ونبع المحبة

أمي الغالية

إلى إخوتي وأخواتـــــي

إلى أساتذتي الأفاضــــل

إلى كـــــل باحــــث

إلى كل من حمل القلم سلاحًا وصنع من الفشل نجاحًا .

أهــــــدي هذا البحث .

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيرًا لله سبحانه وتعالى الذي بمشيئته وعونه تمكنت من إنجاز هذا البحث .

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور (عبد الحكيم غنتاب الكعبي) الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ، فكان خير عون لي في إرشاداته وتوجيهاته القيمة ولم يبخل على بعلمه ووقته وملاحظاته السديدة .

كما يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة المناقشة الذين تفضّلوا مشكورين بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وهم الأستاذ الدكتور (**بشير رمضان التليسي**) والأستاذ الدكتور (**صالح معيوف مفتاح**) .

ولا أغفل التوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذي الأفاضل الدكتور { **محمد أبوعجيلة** } والدكتور { **أحمد انديشة** } والدكتور { **صالح المهدي الحويج** } والدكتور { **أحمد عبدالسلام الأشهب** } والدكتور { **ماهر عبد الغني دعوب** } والدكتور { **رضا الهادي عباس** } والدكتور { **حسين طمعة شذر** } والدكتور { **المهدي الغويل** } والدكتور { **خليفة الأحول** }.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر إلى أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الآداب زليتن وإلى زملائي الذي رافقوني طيلة دراستي في الدراسات العليا .

وكما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل موظفي مكتبة كلية الآداب زليتن ومكتبة جامعة قاريونس ومكتبة الجامعة الأسمرية والمركز الثقافي زليتن والمركز الثقافي بالخمس وإلى مكتب الباحث زليتن ومكتبة أنيس بالخمس ومكتبة البروج بزليتن .

وإلى كل الأخوة الذين أمدوني بمساعداتهم الخاصة .

وأخيرًا وليس آخرًا أتوجه بالشكر والتقدير إلى أسرتي الفاضلة التي تحملت من أجلي كثيرًا.

الباحثة

قائمـــــة المحتـــويات

الفصل الأول

أحوال المشرق الإسلامي في القرن ٦ هـ / ١٢م

المبحث الأول : التمزق السياسي ومحاولات الوحدة

المبحث الثاني : عماد الدين زنكي وأهم أعماله .

المبحث الأول

التمزق السياسي ومحاولات الوحدة

أولاً : مــواجهـــــة التحـــدي الصـــلــــيبي .

ثانيًا : محـاولـة توحيـد الجبهـــة الإسـلاميــــــــــة .

ثالثًا : ظـــــهــــــور آل زنــــكــــــــي .

أولاً : مواجهة التحدي الصليبي :

شهدت الحياة السياسية والاجتماعية في المشرق العربي الإسلامي منذ مطلع القرن ٦هـ/١٢م انقسامًا حادًا وصراعًا مذهبيًا وسياسيًا متعدد الأطراف كان في مقدمته الصراع السلجوقي الفاطمي ، فضلاً عن خلافات مذهبية وعرقية أخرى(١)، أدت جميعها إلى ضعف المنطقة وانحلال عناصر القوة فيها ، فالسلاجقة بعد قوتهم إنقسموا إلى إمارات ودويلات يحكم كلاً منها أمير كما هي الحال في مدن الجزيرة الفراتية ، وبلاد الشام التي أصبحت بعد هذا الانقسام هدفًا سهلاً للغزاة الصليبيين ، الذين كانوا يتربصون بالعرب شرًا (٢).

ولقد نجح الصليبيون فعلاً في الاستيلاء على بيت المقدس وانطاكيه الرها وطرابلس وبعض المعاقل والقلاع والمدن الساحلية في بلاد الشام وأقاموا مستعمراتهم الصليبية فيها منذ أواسط عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م ، بعد أن ارتكبوا أبشع الجرائم بحق السكان المدنيين مسلمين وغير مسلمين لا يفرقون بين المحاربين والنساء والشيوخ والأطفال ، فقتلوا ونهبوا كل ما يصادفهم وعاثوا فسادًا في القرى والمدن العربية ، وحاولوا جاهدين صبغ المنطقة بالصبغة اللاتينية الكاثوليكية وإزالة المعالم والمظاهر الإسلامية ، ولم تسلم منهم حتى المعالم المسيحية ذات الطابع الشرقي(٣).

---

(١) – زابورف ، ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، العدد ٥٨ ، ١٩٨٩م ، ص٢٦٠ .

(٢)– المقريزي ، تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ،(د.ت)، ج١ ، ص٢١٢.

(٣) – أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن على محمود ، المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت ، ج٣ ، ص١٢٨ .

وقد نصبّوا أحد زعمائهم المدعو جودفري دوقًا ، على رأس تلك المستعمرات والذي قام بدوره بتقسيمها إلى إمارات إقطاعية ووزعها على المقربين منه مستغلاً بذلك حالة الانقسام والضعف العربي الإسلامي [1].

كان نجاح الصليبيين في تحقيق أطماعهم وتأسيس مستعمراتهم في الشرق على حساب العالم العربي الذي كان في ذلك الوقت لا حول له ولا قوة ، بسبب انصراف الحكام العرب والسلاجقة إلى المنازعات والحروب فيما بينهم ، وحالة الضعف التي انتشرت في أوصالهم ، وبُعدهم عن الجهاد ضد الغزاة القادمين من الغرب الأوروبي ، ووقف تيارهم الداهم وأن انتصار هؤلاء الغزاة ونجاحهم السريع الذي حققوه خلال السنوات القلائل ، كان نتيجة لتلك الظروف التي حلت بالمنطقة العربية [2]، على الرغم من أن تلك الكيانات المصطنعة والإمارات التي أقامها الصليبيون في بلاد الشام ، ولدت ضعيفة هزيلة متداعية ، ولا تتوافر فيها مقومات الدول والحكومات الشرعية ، ولذا دب فيها الضعف بعد مدة قصيرة من قيامها بسبب جملة من العوامل والأسباب منها :

– قلة مواردهم المالية وقلة المحاربين الذين كانوا تحت إمرتهم ، وتضارب مصالحهم واختلاف أجناسهم وفتور الحماس الديني عندهم بشكل واضح [3]، إضافة إلى الخلافات المستمرة بين الفرنج الجدد الوافدين من الغرب والفرنج القدامى المستوطنين في الشرق حول مصالحهم الذاتية وامتلاك الأراضي، وشعورهم بأنهم يعيشون بين

---

(1) – ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، القاهرة ، ١٩٣٢م ، ج٢ ، ص٨٣–٨٤ ، أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٢٨–١٢٩ .

(2) – فشر ، أوروبا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص١٨٣ .

(3) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص١٣،١٤ .

أصحاب البلاد الأصليين الذين يتطلعون إلى اليوم الذي تتحد فيه جهودهم وجيوشهم لتوجيه ضربتهم القاضية ، واسترداد أراضيهم المسلوبة (١).

يقابل ذلك من الجانب الأخر إحساس العرب بالعدوان المحدق بهم وشعورهم أن وجود الإمارات اللاتينية على أراضيهم يشكل خطرًا جسيمًا ، يجب عليهم القضاء عليه قبل أن يستفحل في بقية أجزاء الوطن ، الأمر الذي أدى إلى ظهور بوادر المواجهة العربي ضد الفرنج اعتبارًا من السنوات الأولى القرن الثاني عشر الميلادي (٢).

وعلى هذا يمكننا القول بأنه في ظل حالة الضعف والانحلال الذي انتابت العالم العربي الإسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي شاءت الظروف أن يظهر على المسرح السياسي العربي عند بداية العدوان الصليبي زعيم أو قائد يستطيع أن يوجد العرب في جبهة قوية متحدة ضد أولئك القوم الغزاة وهذا ما حصل بالفعل في وقت ليس ببعيد (٣).

كان الفرنج يواجهون في هذه الفترة المبكرة من الغزو أمراء متفرقين متخاصمين مستغلين للظروف التي كان عليها العرب ، إلى أقصى حد ممكن ، وقد عملوا أيضًا على الإيقاع بين الحكام العرب ، تمكينًا لنفوذهم ، فالصليبيون عندما بلغوا شمال الشام لم يترددوا لحظة واحدة في التحالف مع الفاطميين بمصر ضد السلاجقة مستغلين تلك الخلافات القائمة بينهما (٤)، وبذلك أتيحت لهم الفرصة

---

(١) – فشر ، أوروبا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص١٨٣ .

(٢) – حسن حبشي ، نوري الدين والصليبون ، ص١٤ .

(٣) – نسيم يوسف جوزيف ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص٤١ .

(٤) – عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، تاريخ الحركة الصليبية ، ترجمة : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج١، طبعة أولى ، ١٩٩٠ ، ص١١٦-١١٧ .

لتحقيق مآربهم العدوانية ، وعندما كان الصليبيون منشغلين مع الأتراك في شمال الشام، تمكن الفاطميون من استعادة بيت المقدس[١]، ولكن ما إن استولى اللاتين على انطاكية[٢]، وألحقوا الهزيمة بالتركمان ، حتى انقلبوا على الفاطميين وانتزعوا منهم بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩م[٣]، وقد تكبدوا في سبيل ذلك الخسائر الباهظة بلغت عدة مئات من الآلاف[٤]، وبقدر ما فرح الصليبيون بهذا النصر ، بقدر ما أستاء العالم الإسلامي بأسره ، في الفترة التي كان يعاني منها هذا المجتمع من خلافات وانقسامات بين الملوك والأمراء[٥]، ولكن سياسة (فرق تسد) بين العرب كانت سياسة عامة أتبعها حكام مملكة بيت المقدس اللاتين ، كلما سنحت لهم الفرصة ، ألاّ أن هذا الأمر لم يدم طويلاً إذ فإن هذا الأمر انكشف أمرهم ومنيت خططهم بالفشل ، وبعد أن تكتل العرب لدفع العدوان عن ديارهم ، فبادروا إلى توحيد صفوفهم ولمّ شملهم لمقاومة الفرنج وطردهم من على أرضهم العربية الطاهرة [٦].

بوادر المواجهة هذه ظهرت بشكل خاص في بلاد الشام وشمال العراق ومصر ، فضلاً عن ظهور بعض القوى الإسلامية الفتية التي أخذت على عاتقها

---

[١] – ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة بن أسد ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق، ١٩٨٣ ، ص١٩٧ .

[٢] – المطوي ، محمد العروسي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٥٢

[٣] – ابن موسى ، تيسير ، نظرة عربية على غزوات الأفرنج مع بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين محمود ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، د.ت ، ص٧٣ .

[٤] – محمد المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص٥٤ .

[٥] – الشطشاط ، على حسين ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مجلس تنمية الإبداع الثقافي ، الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ ، ص٨٩ .

[٦] – جوزيف يوسف ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٤١ .

مهمة توحيد صفوف المسلمين لمقاومة الصليبيين [1]، وهنا بدأ الصليبيين يحسون بالخطر الماثل ، وأن مقامهم إلى الزوال عاجلاً أم آجلاً وكانت دولتهم في ذلك الوقت تمر في طور التدهور والانحلال وأصبحت المسألة مسألة زمن فحسب [2].

لقد أوجد هذا التحول الجديد حالة من التوازن بين العرب أصحاب الديار والفرنج الدخلاء ، بحيث لم يتمكن أي منهما في هذا الدور الثاني من الكفاح من إحراز النصر الحاسم على خصمه ، إذ جاءت عدة ظروف ساعدت الغزاة في هذا الدور على المحافظة على كيانهم المتداعي ، منها : سياسة بناء الاستحكامات العسكرية والقلاع وتحصين المدن الساحلية ، واستغلال أي انقسام يحدث بين العرب والعمل على بذر بذور الشقاق بينهم [3]، فضلاً عن قدوم نجدات أو جماعات جديدة من الحجاج الأوروبيين المسلحين في مجموعات غير منتظمة ، وبإعداد متفاوتة [4]، يضاف إلى ذلك سياسة التزاوج التي درج عليها الصليبيون للربط بين مختلف الإمارات اللاتينية المتنازعة[5]، والعمل على توحيد صفوفها قدر الاستطاعة واستعانة أولئك القوم بالجماعات الرهبانية العسكرية ، وبأساطيل الجاليات الإيطالية التجارية في الاستيلاء على الموانى العربية بالساحل الشامي[6]، مقابل اتفاقيات يتقاسم فيها الطرفان المكاسب والأرباح [7].

---

[1] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٢ .

[2] – ابن الشحنة ، محب الدين أبو الفضل محمد ابن الشحنة الحلبي ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق : عواد سركيس ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص٢١٩ .

[3] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٣٣ .

[4] – زيتون ، عادل ، العلاقات السياسية والكنيسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص٥٨ .

[5] – الصوري ، وليم ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج١، طبعة أولى ، ١٩٩٠ ، ص٤٢٠ .

[6] – محمد المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص٤٩ .

[7] – سعيد بعد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٤ .

لولا تلك الظروف لانتهى الأمر في هذا الدور بتفوق العرب على الصليبيين الذين كانوا محاطين من الشمال والشرق والجنوب الغربي بقوات عربية إسلامية تنتظر الفرصة المواتية للقيام بدورها الإيجابي في المنطقة ، إذ انحسر وجود الفرنج في شريط ضيق على الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وباتوا يعلمون جيدًا أنهم هالكون لا محالة ، ولم يكن أمامهم إلا أن ينجوا بحياتهم عن طريق البحر عائدين إلى بلادهم ، وإما أن يقذفوا في البحر بواسطة قوات أعدائهم القوية المتربصة بهم في الوقت المناسب[١].

هذا من ناحية أما من ناحية العرب فلم يكن أمامهم في مرحلة الكفاح سوى طريقتين : أما أن يسدوا على اللاثين الطريق الساحلي شرق البحر المتوسط ، ولكن هذا لم يكن بالأمر المستطاع وقتذاك ، نظرًا للقلاع والمواني التي كان العدو يتحصن بها على طول الساحل[٢]، وأن إحراز النصر النهائي عند هذا الطريق لم يكن مضمون النتائج بسبب تلك الظروف ، فضلاً عن الخوف من حدوث نكسات أو ثغرات في الداخل قد ينفذ منها العدو ، وبذلك تفوت الفرصة على المقاومين العرب في طرد الأعداء من ديارهم[٣]، أو ربما يؤخر إتمام تلك المحاولة على الأقل ، أما الأمر الثاني فهو أن يبادر العرب بتكوين جبهة متحدة متماسكة من أقصى الشمال في الشام والعراق إلى أقصى الجنوب في مصر بحيث تطبق على دولة الفرنجة من جميع الجهات ، وتدفعها بقوة وعنف نحو البحر حتى تتقلص شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهي الأمر بزوالها[٤].

---

(١) – محمد المطوي ، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب ، ص٥٨ .

(٢) – أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن ، الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق : محمد حلمي ، محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ج١ ، ص٣٢،٣٣ .

(٣) – محمد المطوي ، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب ، ص٥٩ .

(٤) – ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر أحمد طلعت ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ج٢ ، ص٦١ .

من المؤكد أن الإمارات التي أقامها الصليبيون في الشرق كانت لا تستطيع الثبات طويلاً في وسط المحيط الإسلامي الواسع دون أن تتلقى مساعدات مستمرة قوية ، فالحكام الصليبيون ضعاف لا يستطيعون أن يجعلوا حكمهم وراثيًا ، أو جعل الإمارة قوية تستطيع وحدها وقف أي تصدٍّ أو أي هجوم من الخارج[١]، إضافة إلى أن المصالح الدنيوية سرعان ما تغلبت على المصالح الدينية ، وهذا ما جعل الأمراء الصليبيين في الشرق يبادرون في سياسة التفرقة بين العرب حتى يتمكنوا من تحقيق أطماعهم[٢]، فهذه التفرقة كانت من أول العوامل التي ساعدتهم في تحقيق انتصارهم على العرب ، ومدّ سلطانهم من بقعة إلى أخرى ، في الوقت التي كان فيه الأمراء لا يتورع الواحد منهم عن محاربة إخوانه أو محالفة خصومهم وكثيرًا ما قاتل أولئك جريًا وراء مطمع أو مغنم ، أو مصالح تهمهم وحفاظًا على إمارتهم من عدوان المعتدين [٣].

---

[١] – محمد المطوي ، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب ، ص٦٤ .

[٢] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٤٦١ .

[٣] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٥ .

ثانيـًا : محاولة توحيد الجبهة الإسلامية

قبل بدأ الزحف الصليبي كان السلطان السلجوقي في بغداد ألب أرسلان (٤٥٥–٤٦٥هـ/١٠٦٣–١٠٧٢م) قد أقطع ابن عمه سليمان آسيا الصغرى ، وكان الصراع قائمًا على تركة ملكشاة بين أخيه تتشن الملقب بتاج الدولة الذي كان يحكم الشام ، وزوجته تركان خاتون الوصية على ابنها محمود ، وبركياروق الذي ما لبث وأن أعُترف له بالسيادة العليا على الدولة السلجوقية [١]، كما أنعم عليه الخليفة المقتدي سنة (٤٦٧–٤٨٧هـ/١٠٧٥–١٠٩٤م) بلقب السلطان ، ثم تلا ذلك صراع بركياروق وعمه تتشن الذي كان يطمع هو أيضًا إلى تسلم السلطة العليا ، ولم تجلب هزيمة نتش وموته السلام للإمبراطورية الإسلامية المضطربة ، لأن بركياروق لم يلبث أن اشتبك مع أخيه محمد في حرب دامت عدة سنوات [٢].

وعندما استولى الصليبيون على بيت المقدس (سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م)، تدفقت جموع الهاربين من وجه الصليبيين على بغداد ، وأخذوا يسردون على مسامع أهلها حوادث القتل وأعمال الاضطهاد التي ارتكبها الغزاة ، فعم الأسى قلوب الناس[٣]، فأرسل الخليفة المستظهر بالله (سنة ٤٨٧–٥١٢هـ/١٠٩٤–١١١٨م) على الفور ثلاثة من رجال بلاطه البارزين إلى بركياروق ومحمد اللذين كانا معسكرين في حلوان ، كي يحثهم على تسوية خلافاتهما ، والزحف على العدو المشترك [٤].

---

(١) – قلعجي ، قدري ، صلاح الدين الأيوبي ، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر ، دار الكاتب العربي، د.ت ، ص٨٦ .

(٢) – السيد أمير ، على ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعليكي ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص٢٩١ .

(٣) – ابن الأثير ، أبو الحسن على ، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٩ ، ج١٠ ، ص٢٢٩ .

(٤) – على السيد أمير ، مختصر تاريخ العرب ، ص٢٩٢ .

ولكن نداء الخليفة العباسي لم يلق أذنًا صاغية لدى الأخوين إذ سرعان ما عادا إلى الاقتتال بسبب اغتيال وزير بركياروق ، فهذه الخلافات والصراعات زادت ومكنت الإفرنج من توطيد أقدامهم في البلاد الإسلامية [١].

وفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م توفى بركياروق وخلفه أخوه محمد الذي تميز بعدله وكرمه وفضله وعطفه على الفقراء وبره باليتامي وأشاد شعراء عصره بعطفه ، ولكن حالة الدولة السياسية لم تكن مؤاتية للقيام بأي عمل موحد ضد العدو ، إذ كان التحاسد سببًا في انقسام رؤساء الإقطاع في الشام والجزيرة الفراتية، فكان أمير حلب رضوان بن تتنس خائنًا [٢]، وبينما كان الآخرون مع رغبتهم بإطاعة السلطان ، منصرفين إلى تحقيق مآربهم الشخصية أكثر منها إلى خدمة القضية العامة ، فضلاً عن الفوضى التي عمت الخلافة الفاطمية التي كانت مدن الشام الساحلية وفلسطين تابعة لها في ذلك الحين ، هذا ما جعل من العسير جدًا مساعدة المدن التي تعرضت لهجوم الأعداء[٣].

ولم ينتبه العالم الإسلامي إلى حقيقة وضعة الأليم ويسترد وعيه الذي أذهلته الصدمة المفاجئة ، ألاّ في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي ، إذ بدأت الشعوب الإسلامية تقدر أهمية الخطر الأجنبي المتعاظم ، وتتنادى لوقف طغيانه [٤]، مع ظهور الوعي في التصدي لهؤلاء الغزاة تسربت فكرة الجهاد في نفوس العامة في البلدان المستظلة بظل الخلافة العباسية واعتناقها إياها ، إلى حد إنذار الخليفة العباسي بوجوب الانتباه إلى الروح الجديدة التي تمثلت في قدوم جماعة

---

(١) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص١٤ .

(٢) – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٨٧ .

(٣) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٣٣٦،٣٣٧ .

(٤) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص١٤ .

من أشراف حلب وصوفييها وتجارها إلى بغداد [١]، مستغيثين بالخليفة العباسي فكان لهذه الاستغاثة صداها الواسع لدى جماهير الشعب في بغداد ، فاجتمع الأهالي وقت صلاة الجمعة في شعبان سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، وحطموا المنبر وأنزلوا الخطيب عنه ونادوا بوجوب القيام بالجهاد ، وزادوا فمنعوا الناس من الصلاة وتكرر هذا الحادث مرة ثانية في مسجد الخليفة المستظهر نفسه[٢].

إلى جانب ذلك تطور العداء بين الصليبيين والبيزنطيين مما جعل الإمبراطور البيزنطي يرسل رسولاً إلى السلطان السلجوقي محمد يطلب منه محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد الإسلامية ، وترك التراخي في أمرهم ، استعمال الجد في الفتك بهم قبل استفحال شرهم[٣].

وصل الرسول البيزنطي إلى بغداد قبل وصول وفد مدينة حلب ، مما جعل الناس في بغداد ، يتوحدون في مظاهرة قوية اشتركت فيها وفود حلب وأهالي بغداد معلنين غضبة العالم العربي الإسلامي على الخليفة العباسي الذي لم يكن يستجيب للمقاومة ، أو يدعو إلى الجهاد عندما احتل الفرنجة بيت المقدس في زمنه[٤]، بل اكتفى بأن يدعو له في الصلاة والخطبة على المنابر ، في حين كان السلطان الحقيقي ملك قواده ومماليكه وكان الإسلام يطعن في دياره ويهزم في جواره[٥].

إن أول الأمراء الذين تجاوبوا مع هذه الإفاقة العربية ومهدوا الطريق إلى حركة التجمع الإسلامي في وجه الخطر القادم من الغرب ، الأمير مودود أتابك الموصل الذي أعلن الجهاد في تلك السنة ذاتها ، وخرج بجيش كبير فحاصر مدينة

---

[١] – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٨٧ .

[٢] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٢ .

[٣] – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٨٨ .

[٤] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٤٦٠ .

[٥] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٥ .

الرها سنة ٥٠٥ هـ/١١١١م محاولاً استخلاصها من أيدي الفرنجة بمساعدة الأرمن الذين استغاثوا به طالبين منه إنقاذهم من هؤلاء الغزاة المحتلين[١]، ثم رجع عن محاولته ليتولى قيادة عدد من القوى الإسلامية المتحالفة ، وبذلك ظهرت أول بادره للاتحاد بين الأمراء المسلمين في شمال العراق وبلاد الشام لأول مرة منذ مقدم الصليبيين إلى الشرق الإسلامي[٢].

فبينما فتك بلدوين صاحب الرها ، وجوسلين صاحب تل باشر بالأرمن فتكًا دريعًا فذبح وأحرق عددًا كبيرًا منهم ، وطرد من الرها عددًا آخر ، زاد ذلك من تجدد رغبة الأرمن في محاولتهم لتسليم الرها إلى المسلمين ، وفي تلك الأثناء قتل مودود على يد الحشاشين •[٣] .

وبعد ذلك برز على مسرح النضال العربي الإسلامي نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين الذي اتحد معه كل من دبيس بن صدقة أمير الحلة وسلطان بن منقذ أمير شيراز وطغتكين اتابك أمر دمشق[٤]، وبعد ذلك أنجد إيلغاري حلب عندما حاول روجر أمير أنطاكية الاستيلاء عليها ، وقتل روجر في إحدى معاركه مع إيلغازي وقتل جميع عسكره ، ولم يواصل إيلغازي زحفه إلى أنطاكية بل سار نحو

---

[١] – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٨٩ .

[٢] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٥-١٨٤ .

[•] – الحشاشين ، هؤلاء جماعة من الإسماعيليين يدينون بالولاء للخلافة الفاطمية في مصر فكانت فرقتهم الفدائية التي عرفت بهذا الاسم تعمل على نشر الفوضى والاضرابات في بلاد الشام التي يحكمها السلاجقة باسم الخلافة العباسية في بغداد ، وكما كان بعض الأمراء يستعينون بهم للقضاء على خصومهم ولما اشتهروا به من البراعة في أساليب الاغتيال . أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٥٣.

[٣] – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٨٩ .

[٤] – ابو شامة ، الروضتين ، ص٧٣ .

ارتاج الواقعة شرق أنطاكية فاستسلمت له [1]، ولكنه أبقاها في يد قائد أرمني وأبقي أحد رجاله في المدينة ممثلاً له ، وعاد إلى حلب حيث انصرف إلى اللهو والعبث حتى ساءت صحته ، وفي نفس الوقت وصل بلدوين إلى أنطاكية ورتب أمرها استعدادًا لقتال المسلمين [2]، وعندما وصلت الأنباء إلي المدينة لم يبق بوسع إيلغازي الاّ أن يرسل جماعة من عساكره لمنع تقدم الجيش ، وإنقاذ المدينة ، فاستسلمت الحامية مقابل الإبقاء على حياة رجالها [3].

وفي سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠م عاد بلدوين إلى أنطاكية ، وكان إيلاف بن إسحاق والي الأتارب من قبل إيلغازي أخذ يغير على انطاكية بينما زحف إيلغازي على الرها وواصل تقدمه وغاراته حتى بلغ الجهات المجاورة إلى أنطاكية ، ولكن بوصول بلدوين إلى الشمال تراجع إيلغازي بجيشه بعد أن أضعفه كثرة الفارين من جيشه ، ولم يبق أمام إيلغازي الاّ عقد هدنة مع بلدوين وكان من أهم بنودها هو وضع خط الحدود بين مناطق نفوذ الجانبين [4].

ولكن لم يتوقف إيلغازي في غاراته إذ نهض للقتال مرة أخرى بعد إلحاح من ابن أخيه بلك الذي كان أميرًا على مدينة سروج ولم يصدق بلدوين ذلك بأن إيلغازي في استعداده للقتال وأنه لم ينكث العهد ، ولكن إيلغازي زاده الحماس عندما تلقى وعدًا من طغتكين بالمساعدة[5]، وحاصر حصن زردنا [•]، التي أعاد الفرنج بناء

---

[1] – ابن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة ، الاعتيار ، تحرير فيليب حتى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت، ١٩٨١ ، ص١١٨ .

[2] – عمران ، محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥.١٢٩١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٥١ .

[3] – العريني ، السيد الباز ، تاريخ الحروب الصليبية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ج٢ ، ص٢٤١ .

[4] – ابن منقذ ، الاعتبار ، ص١١٨،١٢٠ .

[5] – محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١م ، ص٥١-٥٢ .

[•] – زردنا . بليدة من الناحية الغربية من حلب أنظر : الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج٣ ، ص١٣٦ .

استحكاماتها ، ثم دارت العمليات الحربية بين الطرفين وانتهى الأمر بوقوع بلدوين في الفخ وبأن يرسل الصليب المقدس إلى بيت المقدس وتوجه إلى أنطاكية ، بينما كان جوسلين كونت الرها وواليران صاحب البيرة راكبين في جماعة قليلة العدد من الفرسان بالقرب من سروج خلالها التقى الطرفان ووقع جوسلين في الأسر وواليران وستون من رفاقهما ، فبادر بلك بأن عرض عليهم إطلاق سراحهم مقابل التنازل عن الرها (١).

عندها لم يجد جوسلين أن يرفض الشروط حتى حمل بلك الأسرى إلى قلعته خرتبرت وأجبر بلدوين على أن يضيف أعباء جديدة إلى متاعبه ، بأن يتولى مرة ثانية إدارة كونتية الرها ، ولكن هذه المرة لم يكن الحظ في صالح بلك ، إذ مات إيلغازي في ٥١٧ هـ / ١١٢٣م وقسَّم إرثه أبناؤه وأبناء إخوته(٢).

حمل اللواء بعد ايلغازي نور الدولة بلك بن أرتق صاحب قلعة خربوط ، وقد أسر بلدوين الثاني ملك بيت المقدس وهو في طريقة إلى حلب في محاولة الاستيلاء عليها ، مما أضعف أمر الفرنجة ، فأخذ المسيحيون المحليون السريان والأرمن والأرثوذكس يخططون للخلاص من حكم الصليبيين الغربيين(٣).

في ظل هذه الظروف فر جوسلين من الأسر وسيّر جيشًا لإطلاق سراح ملك بيت المقدس ، فلم يطفر ببغيته على الرغم من الأعمال الانتقامية الرهيبة التي قام بها(٤)، ولم يطلق سراح بلدوين الثاني الاّ عندما توفى بلك سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤م ، وهو قائم على حصار مدينة منبج التابعة لإمارة طرابلس الصليبية(٥)،

---

(١) – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢٥٧ .

(٢) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٠٦ .

(٣) – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص٩١ .

(٤) – حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص١٠-١١ .

(٥) – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٢٦٤ .

إثر إصابته بسهم عن غير قصد ، وآلت حلب إلى حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي فقبل وساطة أميرشيزر سلطان بن منقذ لإطلاق سراح ملك بيت المقدس مقابل مائة ألف بيزانت وإعادة المناطق المحتلة إلى حلب [١].

لم يمر وقتًا طويلاً حتى رفع أقنسقر البرسقي أتابك الموصل راية الجهاد ضد الصليبيين ، وكان اقنسقر خادمًا مرافقًا للسلطان ملكشاه ابن آلب أرسلان ولما توفى آلب أرسلان وتولى من بعده ملكشاه رفع هذا من منزلته اقنسقر ، واعتمد عليه في الأمور كلها بعد أن وجد فيه الإخلاص والفكر السياسي الناضج ، وجعله من كبار أجرائه ومنحه لقب قسيم الدولة[٢]، وهذا بفضل ذكاء اقنسقر فأصبح يمتلك شعبية واسعة بين جنود الأتراك ، وبين السكان العرب حتى أصبح موضع حسد زملائه الأمراء ، وخاصة الوزير نظام الملك الذي أشار على السلطان بإبعاده عن بغداد وتعيينه واليًا على منطقة مدينة حلب[٣]، فاستطاع بفعل سياسته الحكيمة إخماد معارضة حكم السلاجقة في حلب واللادقية وحماه وغيرها [٤].

لقد كان إخلاصه الشديد لملكشاه سببًا في مقتله على يد تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م ، الذي حاول انتزاع الحكم من أولاد أخيه بعد وفاته فانضم أقنسقر إلى بركياروق ابن ملكشاه ، في معركة قرب مدينة حلب أنهزم فيها أقنسقر ، ووقع أسيرًا في يد رجال تتش الذي أمر بقتله [٥].

---

[١] – ابن منقذ ، الاعتبار ، ص١٢٠ .

[٢] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٥١٨ .

[٣] – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج٢ ، ص٢٠ .

[٤] – ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي ، شدرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ج٤، ص٦١ .

[٥] – أبو شامة ، الروضيتين ، ص٦٧ .

ثانيًا : ظهور آل زنكي :

لم يخلف قسيم الدولة أقنسقر من الأبناء غير عماد الدين الذي لم يتجاوز عمره العاشرة ، فالتف حوله مماليك أبيه وشمله كربوغا والي الموصل بالعطف والرعاية (1)، وكان يقيم تحت رعاية أعوان أبيه ومحبيه الذين كانوا يكنون الحب العميق لأقنسقر (2)، فأحضر كربوغا مماليك أقنسقر ورأي أن يمنحهم الإقطاعات وأن ينظمهم تحت إمرة عماد الدين للاعتناء به ، ولكي يفيد منهم كربوغا في حروبه ، لما كان يمتاز به هؤلاء من شجاعة ومقدرة على القتال (3)، وسرعان ما صارت لعماد الدين مكانه كبيرة في حاشية حاكم الموصل ، وظل كربوغا ملازمًا له حتى وفاته سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م (4).

تولى من بعد كربوغا شمس الدولة جكرمش على ولاية الموصل ، والذي كان أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه ، وعلى معرفة بالخدمات التي أداها أقنسقر للسلاجقة ، وتوثقت العلاقة بينه وبين عماد الدين الذي قربه وأحبه واتخذه ولدًا(5)، وظل شمس الدولة ملازمًا ومرافقًا له حتى وفاته سنة ٥٠٠هـ / ١٠٠٦م(6)، واعتلى على ولاية الموصل من بعد شمس الدولة جاولي سقاوه ، عندها بلغ عماد الدين مرحلة الشباب ، وظهرت عليه علامات الشجاعة والشهامة، وساءت العلاقة بين الوالي الجديد وعماد الدين

(1) – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٠٣ .

(2) –ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج٢ ، ص٣٦ .

(3) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٢٩.٢٨ .

(4) – عماد خليل ، عماد الدين زنكي ، الدار العلمية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٧ .

(5) – ابن واصل ، جمال الدين محمد ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ج١ ، ص٢٨ .

(6) – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج٢ ، ص١٦ .

، إلاّ أن عصيان الوالي للسلطان محمد سنة ٥٠٢ هـ / ١٠٠٨م ، وهروبه إلى الشام [١]، دفع عماد الدين إلى الانفصال عنه مع جماعة من كبار الأمراء، في الوقت الذي عين فيه السلطان واليًا جديدًا على الموصل وهو الأمير مودود بن التونتكين سنة ٥٠٢هـ/١٠٠٨م، فانضم زنكي ورفاقه إليه ، واشترك معه في معاركه جميعها التي خاضها ضد الصليبيين في الجزيرة والشام وكذلك قاتل معه على أسوار الرها وتل باشر ومعرة النعمان سنة ٥٠٥ هـ/١١١١م[٢].

إلى جانب ذلك اشترك معه في معارك طبرية سنة ٥٠٧ هـ/١١١٣م وأظهر خلال ذلك كله شجاعة ومقدرة على القتال مما اكتسبه شهرة واسعة لدى المسلمين[٣]، وظل مرافقًا لمودود حتى مقتله على أيدي الباطنية في دمشق سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م [٤].

عاد زنكي إلى الموصل بخدمة الوالي الجديد ومن بعدها انضم إلى الأمير اقنسقر البرسقي الذي وجهه السلطان السلجوقي لقتال الصليبيين في الرها وسروح، وأظهر شجاعة وقدرة في القتال[٥]، مما زاد من شعبيته ، ودفع السلطان إلى أن يطلب من واليه على الموصل تقديم عماد الدين والرجوع إلى مشورته تقديرًا لإخلاصه وقدراته وكذلك معرفته بالشام ، لأن زنكي ولد في حلب وقضى بداية حياته فيها [٦].

---

(١) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٢٩ .

(٢) – جوني ، وفاء ، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (٥٦٩.٤٩٢هـ / ١١٧٤.١٠٩٨م) ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص١٤٧ .

(٣) – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج٢ ، ص١٨ .

(٤) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٩٨ .

(٥) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٢٨ .

(٦) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٤٨ .

وفي سنة ٥٠٦هـ/١١٢٢م عين البرسقي شحنة علي العراق ، عندها رافقه عماد الدين واشترك معه في معركة دارت ضد دبس أمير الحلة وانتهت بهزيمة البرسقي ، الذي رأى بأن يزيد من اعتماده على زنكي في صراعه ضد دبيس فولاه واسط التي تتمتع بموقع هام ، وكلفه مهمة الدفاع عنها ضد هجمات أمير الحلة [١].

واستطاع زنكي أن يسحق في طريقه إلى واسط القوات التي حشدها دبيس في الدفاع عنها واستولى عليها [٢]، وهذا ما دفع البرسقي إلى إضافة البصرة إلى ولايته حتى يصد أي هجوم عليها وينشر الأمن فيها [٣]، وانتقل عماد الدين إليها وتمكن خلال فترة وجيزة من صد هجمات الأعراب وغاراتهم عليها وأن يجليهم إلى أعماق الصحراء، أظهر خلالها مقدرة عسكرية وإدارية عالية[٤]، مما زاد من مكانته في نظر رجالات الدولة السلجوقية ، ومن رهبة الأعداء منه ، وجعل دبس بن صدقة يتجنب الاصطدام معه لأنه أدرك أنه ليس في مقدرته مجابهته والتغلب عليه [٥].

وفي سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣م اتفق البرسقي وزنكي علي إلا يتركا الخليفة يجابه حشود دبيس بمفرده ، إذ جمعا قواتهما والتقى به بالقرب من الحلة واستطاع بفضل الخطة التي اتبعها زنكي أن يلحق الهزيمة النكراء بتلك القوات [٦]، مما اضطر الخليفة الإذعان للسلطان السلجوقي سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧م[٧]، وبذلك لفت زنكي الأنظار إليه بشجاعته فولاه السلطان شحنكية العراق لمراقبة الخليفة العباسي [٨].

---

(١) – أبن الجوزي ، عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك ، طبعة أولي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ ، ص٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٢) – أبن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج٢ ، ص ٢٥ .

(٣) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٢٩ .

(٤) – أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠ ، ص ٦٢٢.

(٥) – أبن الأثير ، التاريخ الباهر، ص ٢٥– ٢٦ .

(٦) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص ١٤٩ .

(٧) – علي حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٨) – أبن وأصل ، مفرج الكروب ، ج١، ص ٣٤ .

المبحث الثاني

عماد الدين زنكي وأهم أعماله

أولاً : عماد الدين حاكماً على الموصل وحلب

ثانيًا : عماد الدين وحصار مدينة دمشق

ثالثًا : فتح إمارة الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م

أولاً : عماد الدين حاكماً علي الموصل وحلب :

توفي عز الدين البرسقي أتابك حاكم الموصل وحلب فطلب الأهالي من السلطان السلجوقي تعيين حاكم جديد على مدينتهم حتى يستطيع الدفاع عنها (١)، فوقع اختيار السلطان على عماد الدين زنكي ، وكتب منشوراً في رمضان سنة ٥٣١هـ/ ١١٢٨م ، وسلم إليه ولدي ألب أرسلان وفروخ شاه وأتابكهما ، ومنحه لقب أتابك (۞)(٢)، ثم غادر زنكي ورجاله عاصمة العراق نحو الموصل لتسلم مهام المنصب الجديد ، وقد حدثت في تلك الأثناء الكثير من المشاكل والخلافات والحروب بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية وكان زنكي يقف مع أحد الطرفين حسب الظروف ولم يستطيع تجنب الدخول في تلك المشاكل بسبب قوته المتزايدة وحاجة القوى المتصارعة إليه (٣)، فبدأ في محاولاته لتوحيد منطقة الموصل والجزيرة وشمالي الشام بضمها إليه ، لضعفها وتفرقها إضافة إلى أن ولاة الموصل الذين سبقوه قد عجزوا عن اكتساحها (٤).

ولذلك سعي زنكي إلي القضاء على هذه المواقع المستقلة حتى تغدو سلطته على هذه المناطق أمراً واقعياً ، فبدأ بالبوازيج الواقعة على طريق الموصل (٥)، وفي سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م أخذ جزيرة أبن عمر• (٦)، وكان عماد الدين يهدف إلى ضم

---

(١) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٣٥٤ .

(۞) – كلمة أتابك هي لفظة تركية تتالف من كلمتين (أتا) وتعني الأب و(بك) وتعني الأمير وأصبحت هذه الكلمة رتبه يعطيها السلاطين إلي أتباعهم الدين يعهدون إليهم تربية أبنائهم الصغار ، وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٤٢ .

(٢) – أبن واصل ، مفرج الكروب ، ص ٣٣ .

(٣) – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص٤٩ –٥٠ .

(٤) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص ١٥٢ .

(٥) – أبن الأثير ، التاريخ الباهر ، ج١ ، ص٣٥ .

(•) – جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل يحيط بها نهر دجله إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص١٣٨.

(٦) – أبن واصل ، مفرج الكروب ، ص ٣٤ .

دمشق ، واتخاذها قاعدة لتوحيد بلاد الشام، وقتال الإفرنج ، إضافة إلى بناء سياج حول إمارته ليجنبها من الأخطار ، لذلك كان لابد له من ضمّ حلب لضمان تحقيق هذه الأهداف [١]، ومن أجل توحيد البلاد ولم شمل القوى العربية الإسلامية ، سعى عماد الدين إلى تنظيم شؤون إمارته وتحرير المناطق المجاورة لها من أيدي الصليبيين ، فحرر مدينة نصبيين ثم اتجه إلى الخابور وحران ومناطق أخرى بالقوة تارة وبالدهاء تارة أخرى [٢]، وكانت جميع هذه المناطق التي تم تحريرها إما إنها كانت تخضع لسيطرة الصليبيين المباشرة ، أو أنها كانت شبه محاصرة من قبلهم وتتعرض لهجماتهم بين الحين والآخر [٣].

بعد تحريره نصبيين عقد عماد الدين هدنة مع جوسلين أمير الرها [٤]، ليتفرغ للجهاد ضد الصليبيين ، وبخاصة بعد أن وضع يده على المناطق المجاورة لمدينة حلب ، التي كانت تعيش في حالة شديدة من الفوضى بعد وفاة الأتابك عز الدين مسعود البرسقي وأصبحت ميدانًا للنزاع بين سليمان بن عبد الجبار الأرتقي، وإبراهيم بن رضوان السلجوقي [٥]، في الوقت الذي أراد فيه كل من جوسلين الثاني أمير الرها ، وبوهيموند الثاني أمير انطاكية أن يستفيد من تلك الأوضاع للاستيلاء على حلب [٦]، ولكن وصول زنكي إلى حلب سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨م أفسد على جميع الطامعين أهدافهم ، لأنه كان يحمل تقليدًا من السلطان السلجوقي بحكم مدينة حلب، وبهذه الصفة الشرعية استطاع الدخول لهذه المدينة بكل سهولة واستقبله أهلها

---

(١) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٢١ .

(٢) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٣٤–٣٥ .

(٣) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٣٥٤ .

(٤) – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص٣٧ .

(٥) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٣٠–٣١ .

(٦) – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص٣٧ .

استقبالاً رائعًا وعم الفرح والسرور كل ناحية من المدينة [١]، لأنهم رأوا فيه المنقذ والمخلّص لهم تهديد الصليبيين الدائم وتخريبهم المناطق الزراعية المحيطة بحلب [٢].

لقد جاءت الظروف كلها مواتية لزنكي ليقوم بمشروعة الضخم بتوحيد القوى العربية الإسلامية ، وذلك بعد وفاة طغتكين أتابك دمشق سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م [٣]، وهو الذي حظي بنفوذ قوي فاق نفوذ بقية الأمراء المسلمين ببلاد الشام ، وحتى يتمكن زنكي من إتمام ذلك المشروع بدأ بخطوتين ، الأولى الزواج من خاتون بنت رضوان أيد تتش ملك حلب السلجوقي الأسبق حتى تثبت مركزه في حلب ويرث عن طريق تلك الزيجة حقوق بيت رضوان في شمال الشام ، والثانية هي ذهابه إلى بلاط السلطان محمود السلجوقي الذي منحه التواقيع السلطانية بملك الغرب كله [٤]، وبعدها عاد إلى حلب ومعه منشورة بالجزيرة والشام وما اتصل بهما [٥]، عازمًا على الجهاد ضد الصليبيين [٦]، وكانت بلاد الشام منقسمة على ثلاث قوى الأولى محورها بوري بن طغتكين أتابك دمشق وكان يسيطر على دمشق وحماة في الشمال وحوران في الجنوب ، والثانية محورها صمصام الدين خيرخان أمير حمص ، والثالثة محورها سلطان بن منقذ وهو الأمير العربي الذي سيطر على شيزر ، هذه القوى الثانية والثالثة لم تستطع مقاومة عماد الدين ، فعلنتا ولاءهما

---

(١) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٣٥٥ .

(٢) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦٦ .

(٣) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٣٦ .

(٤) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٣٥٦ .

(٥) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٤٠ .

(٦) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٢٧ .

وخضوعهما له منذ البداية ، أما تاج الملوك بوري أتابك دمشق[١]، الذي تعرض لتهديد الصليبيين وغزوهم فعرض عليه عماد الدين محالفته ضد الصليبيين فرحب بوري بذلك ، ولكن زنكي لم يلبث وأن انقض على حماة واستولى عليها [٢].

أما حمص فقد ظل زنكي يحاصرها ويهاجمها مدة أربعين يومًا ولم يطفر بها [٣]، ثم شرع بعد ذلك بفتح جزيرة قردو وابن عمر ثم مدينة أربل ، وعاد إلى مدينة الموصل ومنها تسلم سنجار وسير منها جيشه إلى الخابور فملكها، قسرا وفتح تصيبين وحران ، وعندما عبر الفرات ملك مدينة منبج• وحصن بزاعة• [٤].

ومن بعد ذلك كانت ظروف حلب مواتيه لزنكي لتحقيق هدفه ، فحاصرها ثم فتحت له فرتب أمورها ، وسار إلى حمص مرة ثانية ، ولكنه جوبه بالمقاومة الشديدة ، فآثر الانسحاب وانتظار الفرصة المواتية [٥]، ولم ييأس من ذلك وأخذ يجدد محاولاته ويضيق عليها كل مرة أكثر من المرات السابقة ، ولكن كان الحظ يقف دائمًا من أهالي حمص دونه ، إلى أن شهدت المنطقة تحالفًا صليبيًا خطيرًا استهدف مباغتة زنكي للقضاء عليه [٦].

---

[١] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٣٥٦ .

[٢] – أبو شامة ، الروضتين ، ص٣٠ .

[٣] – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص٣٢ .

(•) – منبج : بلد قديم مدينة كبيرة واسعة عليها سور . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٠٦ .

(•) – بزاغة : بلدة من أعمال حلب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٠٦ .

[٤] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٥٣ .

[٥] – سبط ابن الجزوى ، شمس الدين أبو المظفر ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر أباء الدكن ، الهند ، ١٩٥١ ، ج٨ ، ص١٤٥ .

[٦] – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٤٢ .

فاضطر إلى فك الحصار [١]، ومواجهة أخطار التحالف الصليبي البيزنطي [٢] ، ففكر عماد الدين للحصول على حمص بطريقة أخرى ، فهذه المرة اتبع الأساليب السلمية ، مستغلاً بذلك مركزه القوي في المنطقة أثر الانتصارات الحاسمة التي حققها ضد الصليبيين والبيزنطيين ، وبعد مفاوضات صارت حمص تابعة له [٣].

---

(١) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٥٧ .

(٢) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٨١ .

(٣) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤١٨ .

ثانيًا : عماد الدين وحصار مدينة دمشق :

في سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م بدأ زنكي في تنفيذ خطته للاستيلاء على دمشق والمواقع المحيطة بها ، هذه التي كانت تخضع جميعها لإمارة آل طغتكين الذين ورثوا حكم هذه المنطقة من سلاجقة الشام [١].

كان على زنكي أن يستولى على المدن والمناطق المحيطة بدمشق وفعلاً تم له ذلك فقد استولى على عدة مدن منها حمص وحماة وضمها إلى ممتلكاته [٢]، وبعد سنة من ذلك توفي بوري حاكم دمشق فأعقبه في الحكم ابنه إسماعيل الذي كان أكثر طموحًا من أبيه[٣]، عندها كان زنكي منشغلاً بمشاكله مع الخلافة العباسية والسلاجقة ، وهذا الأمر اضطره إلى عدم القيام بعمل ضد إسماعيل عندما اتبع سياسة ظالمة[٤]، إزاء أهالي دمشق وأمرائها ، يتمثل في فرض الضرائب الجائرة فجمع بين القسوة والطغيان ، هذا الأمر زاد من نقمة الأهالي عليه[٥]، عندها قرر القيام بعمل استهدف من ورائه كسب زنكي إلى جانبه ضد خصومه الدمشقيين، فكتب إلى زنكي بضرورة الوصول إليها ليسلمها إليه طائعًا[٦]، وشرط عليه بأن يمكنه من الانتقام من خصومه ، كما أبلغه أنه إن لم يسرع بتلبية طلبه ، سيستدعي الصليبيين ويسلمهم دمشق [٧].

---

(١) – مؤنس ، حسين ، نور الدين محمود ، القاهرة ، طبعة أولى ، ١٩٥٩ ، ص١٦٤.١٦٣ .

(٢) – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٠٤ .

(٣) – سبط الحوزي ، مرآة الزمان ، ص١٤٥ .

(٤) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص٢٠ .

(٥) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٥٧ .

(٦) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٨٨ .

(٧) – ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ ، ج٢ ، ص٦٢٠ .

وما لبث إسماعيل أن شرع بنقل أمواله وممتلكاته إلى صرخد استعدادًا لتسليم دمشق إلى عماد الدين ، ولكن كبار أمراء دمشق وقادتها أوضحوا لوالدته التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في أتابكية دمشق ، بالعواقب الوخيمة في تلك السياسة التي يتبعها ابنها إسماعيل ، فأسرعت بتدبير مؤامرة بقتله ، وأجلست مكانه في الحكم أخاه شهاب الدين محمود وبايعه الناس [١].

وفي سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م سار زنكي لتسلم دمشق من إسماعيل مع أنه بلغته أنباء عن التغيرات التي حصلت فيها ، فلم يقطع أمله وواصل السير حتى وصل العبيدية المنطقة القريبة من دمشق[٢]، منها أرسل وفدًا للتفاوض مع مسؤوليها حول شروط تسلم المدينة ، فاستقبل الوفد بحفاوة بالغة وأطلع على مدى إلتفاف الأهالي حول الحاكم الجديد[٣] ولكنه أصر على مهاجمة دمشق حيث ضرب الحصار وقام بشن هجماته على أطرافها ، إلى أن اضطر سكانها إلى الانسحاب والانضمام إلى المدافعين عنها[٤]، وبذل الدمشقيون جهودًا كبيرة للدفاع عن مدينتهم ، وقاموا بهجماتهم على معسكر عماد الدين ، كما بعثوا إلى الخليفة مبلغًا من المال قدره خمسون ألف دينار وطلبوا منه إبعاد زنكي عنهم ، على أن يدفعوا هذا في كل عام ، فأجابهم إلى طلبهم ، وأرسل إلى زنكي رسولاً يأمره بفك الحصار والتوجه بقواته إلى بغداد للعمل سويًا ضد السلطان مسعود[٥]، وعقد زنكي صلحًا مع حكام دمشق[٦]، وعاد إلى بغداد [٧].

---

[١] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٨٩ .

[٢] – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص٦٢١ .

[٣] – ابن القلاسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٩١ .

[٤] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٥٦ .

[٥] – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص٦٢٢ .

[٦] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٩٢ .

[٧] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٦٤ .

وفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م قتل شهاب الدين محمود على أيدي رجال حاشيته وغلمانة [١]، وعندما وصل الخبر إلى الخاتون والدة شهاب الدين حزنت عليه ، وراسلت عماد الدين وهو في الموصل ، وهذا ما كان يسعى له عماد الدين[٢].

لم يشأ زنكي بأن يهاجم دمشق مباشرة مع علمه بالاستعدادات التي قام بها الدمشقيون استعدادًا له ، وآثر زنكي أن تكون بعلبك هدفه الأول فنصب عليها عددًا من المجانيق وواصل المحاربة لأهلها ، إلى أن تم له فتحها سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م[٣]، واستطاع بذلك أن يتم ربط الطوق الذي ضربه حول دمشق حيث وضع يده على بعلبك وحمص وحماه وأن يمنعهم من الاتصال ببقية أجزاء إماراتها لطلب المساعدة العسكرية أو الاقتصادية ، إلى جانب ذلك قام زنكي بتقوية مركزه فأرسل إلى رضوان الوزير الفاطمي بالانضمام إلى جانبه وتم الاتفاق بينهما [٤].

إلاّ أن معين الدين أنر حاكم دمشق أدرك ما وراء هذا التحالف من أخطار ، وبخاصة أن زنكي يقف على أبواب دمشق ، فأرسل فارس بني شيزر المعروف أسامة بن منقذ سفيرًا إلى رضوان بأن يقنعه بالعدول عن التحالف بعد أن بذل له الأموال [٥].

---

[١] – ابن قاضي شهبة ، بدر الدين ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق : محمود زايد ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص١٠٩ .

[٢] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٥٨،١٥٩ .

[٣] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٨٦ .

[٤] – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٢٧ .

[٥] – ابن منقذ ، الاعتبار ، ص٤ .

في سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م رتب زنكي أمور بعلبك وقلعتها[١]، وعين نجم الدين أيوب واليًا عليها[٢]، وبعدها شرع يتأهب للنزول على مدينة دمشق ومضايقتها[٣]، حيث عسكر في البقاع وأرسل إلى جمال الدين محمد يبذل له أي بدل مقابل التنازل عن دمشق[٤]، إلاّ أن جمال الدين ورجال حكومته وعلى رأسهم معين الدين أنر رفضوا الطلب ، مما اضطر زنكي إلى مهاجمتها ، وانتهت بهزيمة الدمشقيين وانهارت معنويات المدافعين عنها ، وأوشكت على الاستسلام[٥]، ولكن رجال حكومة دمشق برئاسة أنر منعوه من تسليم البلد ، فوجد عماد الدين نفسه مضطرًا للقتال مرة ثانية ، ثم ما لبث وأن مات أمير دمشق سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م [٦].

ووجد عماد الدين من هذه الحادثة فرصته المواتية لتوجيه ضربة حاسمة ضد دمشق ، إلاّ أن أنر أسرع بتنصيب مجير الدين أبق أميرًا على دمشق[٧]، وأعاد تنظيم الدفاع ضد الهجمات المضادة ، ومع هذا أصر عماد الدين على الاستمرار في الحصار ، مما دفع أنر إلى التحالف مع الصليبيين لإرغامه على الانسحاب[٨] ، فأرسل أنر بعثة إلى بيت المقدس التقت بملك الصليبيين وكبار أمرائهم ، وطلب

---

[١] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٢٤ .

[٢] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص١١٠ .

[٣] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٢٤ .

[٤] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ص٥٩٧ .

[٥] – ابن القاضي ، الكواكب الذرية ، ص١١١.

[٦] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٢٥ .

[٧] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص٧٤ .

[٨] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٧٠٥ .

منهم مساعدتهم لدمشق ضد عماد الدين زنكي(١)، مقابل دفع مبلغ من المال ، إضافة إلى تسليمهم بانياس عندما يتم الاستيلاء عليها (٢)، وقبلوا عرض معين الدين أنر(٣)، وخاصة عندما رأوا زنكي صار يمتلك فعلاً الموصل وحلب وحماة وحمص وبعلبك(٤)، فعلم زنكي بذلك وأدرك أن استمراره في الحصار سوف يضعه بين شقي الرحى ، فأسرع لمجابهة الصليبيين قبل اقترابهم من دمشق ، حتى يتصدى لكل قوة على انفراد ، وتوجه إلى إقليم حوران في الجنوب(٥)، وانتظر قدوم الصليبيين الذين فضلوا إيقاف زحفهم عند طبرية خوفًا من الاصطدام بعماد الدين ، عندها رأي زنكي بأن يعود لحصار دمشق من جديد ، ولكنه اضطر إلى الانسحاب ثانية نحو مدينة حمص(٦)، لأن الصليبيين تقدموا لنجدة حليفهم معين الدين أنر في دمشق(٧)، واستغلوا هؤلاء الفرصة واتجهوا إلى بانياس للاستيلاء عليها تنفيذًا لتلك الشروط التي تم الاتفاق عليها(٨)، وعندما سمع عماد الدين بذلك سارع إلى بعلبك استعدادًا للدفاع عنها في حال مهاجمتها ، وتهيأ للقيام بمحاولة إنقاذ بانياس التي كان صاحبها إبراهيم بن طرغت ، ودخل في طاعته(٩)، إلاّ أن معين الدين أنر

---

(١) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦١ .

(٢) – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٦٤ .

(٣) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ص٥٩٨ .

(٤) – محمد المطوي ، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب ، ص٦٦ .

(٥) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص٦٣٨ .

(٦) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦١ .

(٧) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص٣١ .

(٨) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦٢ .

(٩) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤١٣ .

وحلفاءه انقضوا على بانياس ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها ، واستسلمت حاميتها لمعين الدين ، الذي سلمها إلى ملك بيت المقدس [١].

أما زنكي فقد وزع قواته المتبقية للقيام بهجمات تخريبية في المناطق المجاورة بدمشق ، ثم ما لبث أن جمع قواته ورجع عائدًا إلى حلب خوفًا من قدوم حملة بيزنطية لمساعدة الصليبيين وحكام دمشق [٢].

نلاحظ من ذلك أن التحالف الذي عقده أتابكية دمشق مع ملك بيت المقدس سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م جمد الموقف في جنوب بلاد الشام وشل حركة عماد الدين إلى مدى بعيد في تلك المنطقة وعندما تم تسليم بانياس للصليبيين استقرت العلاقات بين القوى المتنازعة في بلاد الشام الجنوبية [٣].

---

[١] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٠٦ .

[٢] – ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص٥٨،٥٩ .

[٣] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦٢ .

ثالثًا : فتح إمارة الرها سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م :

كانت مدينة الرها من أهم المراكز الصليبية لكونها قاعدة لإحدى إماراتهم الأربعة في الشرق العربي الإسلامي ، ولقربها من العراق وقوة تحصيناتها ، وما كانت تسببه للمناطق الإسلامية المحيطة بها من أخطار[١]، كما أنها تشكل عائقًا يحول دون قيام عماد الدين زنكي بتوحيد الجبهة الإسلامية في الجزيرة وشمال الشام[٢]، وبسبب تدخلها الدائم لصالح أعدائه من الأمراء المسلمين في المنطقة ، وتهديدها لخطوط المواصلات التي تربط بين الموصل وحلب من جهة وبلاد فارس وسلاجقة آسيا الصغرى من جهة ثانية [٣].

لهذه الأسباب بدأ عماد الدين يعد العدة للاستيلاء عليها ، وتأمين الأهداف التي سيجنيها من وراء ذلك ، فإنه ينتظر الفرصة الملائمة لتوجيه ضربته ، والدخول إليها[٤]، وسرعان ما اشتد النزاع بين ريموند أمير انطاكية وجوسلين الثاني أمير الرها ، وانتهى الأمر بمقاطعة أحدهما الآخر ، وعدم نجدة بعضهما بعضًا في حال تعرض أي إمارة لغزو خارجي[٥].

وفي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م ازدادت الأمور سوءًا بين الصليبيين ، إذ مات فولك ملك بيت المقدس ، وجاء بعده بلدوين الثالث إلى العرش وهو صغير السن ، ضعيف الشخصية ، الأمر الذي جعل الإفرنج لا يخضعون لإرادة مدبرة تستطيع أن تنهي النزاع بين أمير إنطاكية والرها ، وتسعى لتوحيد قواهم ضد محاولات المسلمين

---

[١] – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٦٧ .

[٢] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص١٦٩ .

[٣] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٣٦ .

[٤] – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٦٧ .

[٥] – السيد الباز العربي ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٧٨ .

واسترداد ممتلكاتهم منهم[١]، ولم تكن ميليساند زوجة فولك وابنه الملك بلدوين الثاني والوصية على ابنها بلدوين الثالث ، تهتم بأمر المصالح الصليبية ، إضافة إلى انشغالها بصد هجمات الدمشقيين[٢]، إلى جانب ذلك التحالف القديم بين البيزنطيين والإفرنج قد انتهى سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م ، وحل محلة عداء شديد وحروب مستمرة بين الطرفين بسبب الأطماع الدائمة[٣]، فضلاً عن ذلك جاءت الفرصة المواتية لعماد الدين زنكي بعد وفاة الإمبراطور حناكو مينين [٤].

هذه العوامل ساعدت زنكي في القضاء على إمارة الرها لتحقيق هدفه ، ولكن جوسلين الثاني أمير الرها شعر برغبة زنكي ، فوضع يده في يد بني أرتق في ديار بكر للوقوف في وجه تقدم زنكي [٥]، واستغل عماد الدين ظروف إمارة الرها ، وسعى بتدبير خدعة تتيح له تحقيق هدفه في أقصر طريق ، فاتجه إلى أمد وأظهر أنه يعتزم حصارها ، وأنها هدفه الوحيد دون غيرها ، وفي نفس الوقت بث عيونه على إمارة الرها[٦]، وعندما رأى جوسلين الثاني انشغال زنكي بحروبه ، وعدم تفرغه للهجوم على المواقع الصليبية ، غادر مقر الإمارة على رأس قواته إلى تل باشر[٧]، وترك حماية الرها لأهاليها من الأرمن والسريان واليعاقبه ، وكان معظمهم من التجار

---

[١] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ص٦٠٣،٦٠٤ .

[٢] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٣٧ .

[٣] – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٥٠ .

[٤] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٣٧ .

[٥] – ابن العبري ، أبو الفرج ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص١٥٦ .

[٦] – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٦٧ .

[٧] – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص١٧٤ .

الذين لا خبرة لهم بشؤون الحرب والقتال ، أما الجند المرتزقة فتولوا مهمة الدفاع عن القلعة[١].

جاءت الفرصة لعماد الدين الذي كان يتحرق شوقًا إليها ، فأسرع بالتوجه إلى الرها[٢]، مستنفرًا كل قادر على حمل السلاح من مسلمي المنطقة للجهاد في سبيل الله ، وانهالت عليه جموع المتطوعين[٣]، فطوق بهم الرها من كل الجهات[٤]، وحاول في البداية أن يتوصل بالطرق السليمة إلى هدفه دون الحاجة لرفع السيف والقتال ، فأرسل إلى أهاليها باذلاً لهم الأمان ، طالبًا منهم أن يفتحوا له الأبواب ، ولكنهم رفضوا[٥]، ولم يبق أمامه سوى هدم أسوارها قبل وصول حشود الصليبيين لنجدتها [٦].

فوصلت الأنباء إلى جوسلين بما حدث بإمارة الرها ، فطلب النجدة من الإمارات الصليبية في الشام ، فلم يستجب له إلاّ ميليساند الوصية على عرش مملكة بيت المقدس ، ولكن وصلت نجدتها بعد فوات الأوان[٧]، وبعد مرور ثمانية وعشرين يومًا من الحصار ، انهارت بعض أجزاء الحصن ، بتأثير الضربات القوية ، ونسف أبراجها بالنقب في الأرض حتى أساستها وإشعال الحطب فيها[٨]، واجتاحت قوات المسلمين المدينة ، واستسلمت قلعتها وحدث هذا سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٥م ولجأ زنكي إلى سياسة بعيدة عن القتل وعمل على كسب

---

(١) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٣٧ .

(٢) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٣٧ .

(٣) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص٩٨ .

(٤) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٣٦ .

(٥) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٣٩ .

(٦) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٦٩ .

(٧) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ص٦٠٦،٦٠٥ .

(٨) – بيطار . أمينة ، تاريخ العصر الأيوبي ، دار الطباعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص٥٣ .

ود أهالي الرها ، وأمر رجاله بالكف عن القتل ، وشمل الأهالي من المسيحيين المحليين بحمايته[١]، ومنع جنوده من الاعتداء على كل من أسروه من الرجال والأطفال والنساء وأعادهم إلى منازلهم ، والاحتفاء بالكنائس[٢]، في حين دمر كنائس الصليبيين الكاثوليك ، وعادت الرها مدينة تدين بالتبعية لأتابكية الموصل [٣].

وبسقوط إمارة الرها حقق زنكي أهم أعماله التي قام بها ضد الصليبيين ، وكان لهذا النصر نتائج هامة في العالمين الإسلامي والمسيحي ، أما فيما يتعلق بالمسلمين فقد أعطاهم سقوط أولى الإمارات الصليبية التي تأسست على أرض المشرق الإسلامي أملاً جديدًا وعُد نصرًا عظيمًا للإسلام ، وكان عندهم بمثابة فتح الفتوح [٤]، أما الصليبيون فاعتبروا سقوط الرها الخطوة الأولى في هدم كيان الفرنج في الشرق [٥].

استمر عماد الدين في أعماله الجهادية إلى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م حيث مضى ليحاصر قلعة جعبر [٦]، الواقعة على الطريق المباشر من الفرات إلى دمشق ، وبينما كان محاصرًا لهذه القلعة اغتيل وهو نائم [٧]، ويعد مقتل زنكي ، حدثًا هامًا ومؤثرًا في تطور الأحداث في بلاد الشام والجزيرة ، فقد طويت صفحة من الصراع العربي الإسلامي الصليبي ، وفي نفس الوقت آذن ذلك بتفكك دولة عماد الدين زنكي لتتقسم بين أبنائه ، وتفرقت جيوشه [٨].

---

[١] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٣٦ .

[٢] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٥٤ .

[٣] – أمينة بيطار ، تاريخ العصر الأيوبي ، ص٥٣ .

[٤] – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٨٣ .

[٥] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ص٦٠٩.

[٦] – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والعرب في العصور الوسطى ، ص١١١ .

[٧] – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٨٥ .

[٨]– عوض ، محمد مؤنس أحمد ، في الصراع الإسلامي ، الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ٥٤١-٥٦٩هـ – ١١٤٦–١١٧٤م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، طبعة أولى ، ١٩٩٨ ، ص٣٢ .

الفصل الثاني

سياسة نور الدين محمود زنكي
وأثرها في التصدي للغزو الصليبي

المبحث الأول : شخصية نور الدين زنكي وسياسته

المبحث الثاني :نور الدين والإمارات الصليبية

المبحث الأول

شخصية نور الدين وسياسته

أولاً : لمحة عن شخصية نور الدين محمود زنكي .

ثانيًا : سياسة نور الدين الداخلية .

ثالثًا : سياسة نور الدين الخارجية .

أولاً : لمحة عن شخصية نور الدين محمود زنكي :

ولد نور الدين محمود زنكي في شوال سنة ٥١١ هـ / ١١١٨م وهو ثاني أبناء عماد الدين زنكي ، وكان نور الدين أصغر من أخيه سيف الدين غازي [١]، ورث نور الدين الكثير من صفات أبيه حيث إنه الحاكم الفاصل إلى حد بعيدًا جدًا ، فقد تميز بالشجاعة والكفاءة الإدارية والعسكرية والبراعة السياسية، والرغبة الشديدة في رفع راية الجهاد ضد الغزاة الإفرنج[٢]، وهذه الخبرة اكتسبها من أبيه وقواده أثناء مرافقته معهم في الكثير من الحروب ضد الصليبيين[٣].

إلى جانب ذلك كان لتدينه وزهده وحبه للعلم والعلماء وحضوره لمجالس الفقهاء والصالحين ، زيادة في بروز شخصيته التي اتضحت معالمها أكثر عندما تولى الحكم في الشام ، وكما كان أيضًا يستشير ذوي الخبرة والصلاح والتدين في كثير من الأمور ، لأنه يشعر أنه مسؤول عن رفاهية رعيته أمام الله سبحانه وتعالى [٤]، وكان لا ينفق موارد بلاده الغزيرة إلاّ على الرعية وتحصين بلاده وتوطيد مركزه الحربي في عالم زاخر بالأعداء [٥]، وقد أولى اهتمامًا خاصًا بتدريب الجند باستمرار وتزويدهم بأفضل الأسلحة وتحصين المدن والقلاع وبناء الأبراج في مختلف نواحي دولته [٦]، وكما شحن الأبراج بالمقاتلين والمعدات الحربية وذلك

---

[١] – أبن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج١ ، ص١٠٧ .

[٢] – بروكلمان ، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة .. فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ج١ ، ص٢١٩ . ٢٢٠ .

[٣] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٤١٦ .

[٤] – قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص١٤٤ .

[٥] – كرد ، محمد على ، خطط الشام ، ١٣٩١هـ . ١٩٧١ ، بيروت ، ج٢ ، ص١٧ .

[٦] – القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩٢٠ ، ج٤ ، ص١٦ .

لمراقبة تحركات العدو، وكما زود الأبراج بالحمام الزاجل وذلك لنقل الأخبار بالسرعة المطلوبة[١].

لقد كان نور الدين عطوفًا على رعيته وأسر الشهداء من جنده فيقطعهم الإقطاعات الكافية ليضمن لهم الحياة الكريمة ، وهذا الأمر زاد من رفع الروح المعنوية لدى جنده ، وجعلهم يخوضون المعارك بروح مطمئنة بأن أسرهم لن تضيع من بعدهم إذا استشهدوا في القتال [٢]. واستطاع أن يكّون منهم قوة عسكرية ضاربة قادرة على حماية حدودها بل والتوسع الخارجي [٣].

ولقد نجح نور الدين في تحقيق الكثير من الإنجازات والمكاسب في هذا المجال ، وكانت خطواته تتسم بالحذر والدهاء حتى لا تتيح لأي من الأعداء فرصة التآمر عليه وعلى دولته [٤].

ويتضح من ذلك أن هذه السياسة الحكيمة التي وضعها نور الدين في دهنه، ليحقق هدفه الأساسي التي يسعى إليه وهو تحرير واسترداد بلاد المسلمين ، وتوحيدها تحت مظلة الإسلام ، واستكمال ما بدأه والده عماد الدين[٥]، فأخذ يخطط ويعدّ العدة والعتاد لمواجهة الفرنجة ، من أجل إعادة أمجاد المسلمين وطرد الصليبيين من هذه البلاد الإسلامية [٦].

---

[١] – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٧١ .

[٢] – محمد مؤمن أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي السياسية الخارجية للدولة النورية ٥٤١ – ٥٦٩هـ / ١١٤٦ – ١١٧٤م ، ص٣٦ .

[٣] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية في السيرة النورية ، ص١٩٥ .

[٤] – ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج١ ، ص١١٢ .

[٥] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٥٠ .

[٦] – أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١ ، ص٥٠ .

ثانيًا : سياسة نور الدين الداخلية :

واجه نور الدين زنكي العديد من المشكلات الداخلية ، فأنشغل بها وأخذت منه الكثير من الجهد والوقت ، في ظروف حرجة كان فيها الغزاة الصليبيون يتربصون بدولته وينتظرون الفرصة المناسبة للقضاء عليها وتدميرها ، ومن أبرز تلك المشكلات :

١. الصراع على السلطة :

حاول أحد أخوة نور الدين محمود ، المدعو نصرة الدين أمير ميران إثارة المشاكل في وجه نور الدين طمعًا في السلطة مستعينًا بعناصر من الشيعة الإسماعيلية ، فقام بحركة عسكرية سيطر خلالها على مدينة حلب(١)، إلاّ أن هذه الحركة باءت بالفشل عندما حاول نصرة الدين التحرك باتجاه دمشق(٢)، وقد اعتمد نور الدين سياسة التسامح معهم أول الأمر(٣)، ليكسب الوقت ويبتعد قدر المستطاع عن المواجهات العسكرية الداخلية ، إلاّ أنه سرعان ما غير سياسته تلك واتبع سياسة المواجهة والقمع معهم(٤)، الأمر الذي دفع تلك العناصر (الإسماعيلية) إلى الوقوف ضده إلى جانب الأفرنج في معركة أنب سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م(٥)، ثم توالت مواقفهم العدائية ضده فيما بعد(٦) ، وحاولوا اغتياله (٧).

---

(١) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٥٥٢ .

(٢) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

(٣) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع العربي الإسلامي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٣٤ .

(٤) – توفيق ، عمر كمال ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص١٤٩ .

(٥) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٠١ .

(٦) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

(٧) – غنيم ، حامد ، الجبهة الإسلامية في عصر الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، ص٧٣ .

إلاّ أن نور الدين عاد مجددًا إلى اعتماد سياسة السلم والحوار معهم خلال السنوات ٥٥٩ . ٥٨٩هـ / ١١٦٣ . ١١٩٣م ، حرصًا على توحيد الجهود ضد العدو الرئس المتمثل في الغزاة الأفرنج ، وأجرى اتصالات مع أحد كبار قادة الإسماعيلية وهو راشد الدين سنان الذي كان يتمتع بقوة سياسية كبيرة ، وشعبية واسعة بين منتسبي مذهبه ونجح في التصالح معه [١].

٢. اندلاع الحركات الاجتماعية :

اندلعت في زمن نور الدين حركات اجتماعية ذات طابع فلاحي منها حركة معز الدين المغربي ، الذي خرج عن السلطة ، ولقيت حركته دعم الفلاحين من مدن بلاد الشام مثل دمشق وحلب وحماه وحمص وغيرها [٢]، وظهرت الحركة في دمشق عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م ، ثم ظهرت في عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وقد يكون وراءها الدافع الاقتصادي ، فضلاً عن مساوي النظام الإقطاعي كان سببًا دفع الفلاحين إلى دعم حركة معز الدين المغربي التي استمرت حتى تم قمعها سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥م [٣].

٣. مشكلة الإقطاع العسكري:

لقد أدرك نور الدين مدى الأخطار المحدقة بدولته في الداخل ، فعمل على مواجهتها من خلال إقامة جهاز أمني قوي منتشر في كافة أنحاء البلاد [٤]، وأيضًا من خلال تكوين قوة عسكرية قادرة على حماية الحدود ، فالجيش تلقى دعمه البشرى

---

[١] – ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد ، وفيات الأعيان في أبناء أنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ج٤ ، ص٢٧٢ .

[٢] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٣٥.

[٣] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية في السيرة النورية ، ص١٩٥ .

[٤] – ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٩ ، ص٢٢٠ .

من خلال مساهمة التركمان [١]، الذين ساهموا بنصيب وافر في تشكيلاته وتفوقوا في المعارك الحربية ، واشتهروا بمهاراتهم في رمي السهام[٢].

ومن العناصر الأخرى أيضًا الأكراد الذين شكلوا قوة كبيرة في قوات أمراء البيت الزنكي ، ومن أشهر قادتهم في الحرب والسياسة بنو شيركوه وبنو أيوب ، إلى جانب هؤلاء هناك العرب ومثلوا جانبًا من الخيالة منهم بنو منقد في شيزر ، فالجيش احتل مكانة كبرى في اهتمامات نور الدين زنكي حتى يتمكن من إقامة جهاز إداري محكم من أجل إقامة دولة قوية قادرة على مواجهة الأعداء[٣]، ومحو آثار التمزق الذي عاث في المنطقة فسادًا طيلة العقود الماضية[٤]، وصارت كل مرافق الدولة تصب في النهاية في العمل على خدمته وتدعيمه ، إلاّ إن ذلك الطابع الحربي الواضح للدولة قد أثر سلبًا على وضعية الأرض نفسها ، الذي ارتبط بها ارتباطًا وثيقًا ، ونجد ذلك في صورة الإقطاع العسكري الذي اعتمده نور الدين في سياسته الخاصة بالجيش [٥].

ثالثًا : السياسة الخارجية لنور الدين محمود :

١. العلاقة مع الدولة العباسية :

(١) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج٨ ، ص٢١٠ .

(٢) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٣٧ .

(٣) – القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج٤ ، ص٢٢-٢٣ .

(٤) – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص٧٣ .

(٥) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٣٧ .

من المعروف أن الدولة العباسية كانت تعيش حالة من الضعف والانحلال خلال هذه الحقبة التاريخية [القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي] وكان خلفاء بني العباس لا حول لهم ولا قوة ، فلم يتمكنوا من ممارسة دورهم سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، وقد استغل نور الدين تلك الظروف فتقرب إلى الخلفاء العباسيين وحالفهم ، على العكس من سياسة والده عماد الدين التي اتسمت بالعداء للعباسيين ودولتهم (١)، لقد التقت مصالح الطرفين ، العباسيين ونور الدين ، على الصلح والتحالف فيما بينهم ، فالحلفاء العباسيون أرادوا الظهور بمظهر المحارب لأعداء المسلمين (الصليبيين) في بلاد الشام ، وأن بعد المسافة بينهم وبين الغزاة الأفرنج كان يحول دون تحقيق انتصاراته على الصليبيين ، فأخذ يبحث عن قوة يتحالف معها ، وتمنحه الشرعية أمام جموع المسلمين في جهاده وتوسعه في بلاد الشام على حساب أملاك الصليبيين التي استولوا عليها هناك ، وفي تثبيت أركان دولته الفتية (٢).

ومن المعلوم أن نور الدين زنكي قد عاصر الخلافة أيام الخليفة العباسي المقتفى لأمر الله ٥٣٠ هـ. ٥٥٥ هـ / ١١٣٥ . ١١٦٠م ، والخليفة المستنجد بالله ٥٥٥ . ٥٦٦هـ / ١١٦٠ . ١١٧٠م ، والخليفة المستضئ بالله ٥٦٦ . ٥٧٥هـ / ١١٧١.١١٨٠م (٣)، في هذه الآونة شهدت الخلافة منافسة وصراعًا قويًا ، بينها وبين السلاجقة الذين كانت لهم القوة السياسية والعسكرية والفعلية ، وهيمنتهم على مقادير الخلافة (٤).

---

(١) – ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج١ ، ص٤٧–٤٨ .

(٢) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٤٩ .

(٣) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٥٦ .

(٤) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص٥٠ .

فالخليفة المقتفى لأمر الله بعد أن وطد سلطته في الداخل ، تطلع إلى الخارج، وأدرك أهمية نور الدين في سياسة التوازن مع السلاجقة ، ورأى أن التحالف معه يمكن أن يدعم موقف الخليفة ولو على الصعيد السياسي ضد النفوذ السلجوقي [١].

أما الخليفة المستنجد بالله فقد انتهج نهجه في دعم سلطان الخلافة ، وإن عمل على التخلص من أعوان والده بالقتل والحبس [٢]، وجاء من بعده المستضئ بالله ولم يختلف عن سابقيه في السياسة الداخلية والخارجية [٣].

ولهذا حرص كل من الطرفين على توثيق العلاقات فيما بينهما ، إذ احتاجت الدولة الزنكية من الخلافة تأييد حكمها للمناطق الخاضعة لها في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، وإن تأييد الخلافة هذا يدعم حكم نور الدين ، ويكسبه صبغة الشرعية أمام رعاياه في تلك المناطق ، أما من جهة الخلافة فرأت في الدولة النورية قوة سياسية فعالة في المنطقة [٤]، فعملت الدولة النورية على توطيد علاقاتها السياسية بالخلافة العباسية عن طريق السفارات الدبلوماسية المتبادلة وحمل السفراء الرسائل والهدايا لمخاطبة ودّ خليفة بغداد ، واحتوت الرسائل على بعض المطالب وإظهار الولاء وغير ذلك [٥].

---

[١] – أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج١، ص٤٨٣ .

[٢] – الذهبي ، الحافظ الذهبي ، دول الإسلام ، تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ج٢ ، ص٧٩ .

[٣] – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٥٠ .

[٤] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٥٨ .

[٥] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية في السيرة النورية ، ص٢٢٠ .

ومن الاتصالات المهمة بين الجانبين ، عندما أخضع نور الدين دمشق عام ٥٤٩هـ / ١١٥٢م وحقق انتصارًا عسكريًا مهمًا بعث الخليفة إليه عهدًا بالسلطة وإقرارًا بسيادته السياسية عليها [١].

إن هذا النصر الكبير الذي تحقق جعل الخليفة العباسي يحث نور الدين بالسير إلى مصر وانتزاعها من أيدي الفاطميين [٢]، في الوقت الذي كانت فيه مصر تعاني من وهن من جراء سياسة الوزراء هناك [٣]، وهذا ما حققه نور الدين فعلاً سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م بانتصاره على الفاطميين ، وهذا الإنجاز الأخير يؤكد مدى نجاح التحالف في تحقيق الإنجازات الكبرى ضد الأعداء .

استمرت هذه العلاقات عدة سنوات دون حدوث أية خصومة ، بل إن تلك الصلات توطدت باستمرار فأفاد كل طرف من الآخر [٤]، لقد أفاد نور الدين من نفوذ العباسيين للضغط على أمراء المشرق الإسلامي لمعاونته ضد أعدائه الصليبيين، وبخاصة أن الجيش النوري اعتمد على الدعم الحربي المقدم من أمراء المشرق [٥]، ولاسيما في العراق ، وكان الثقل السياسي للخلافة أجبر أولئك الأمراء على المبادرة بتقديم عونهم الحربي ، كما أن نور الدين اتجه إلى مراسلة الفقهاء ورجال الدين في تلك الأقاليم من أجل الدعاية السياسية ، ومن أجل العون الحربي [٦].

---

[١] – العماد الحنبلي ، شدرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ ، ص١٥٢ .

[٢] – الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢ ، ص١٣٦ .

[٣] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٦٤ .

[٤] – النويري ، شهاب الدين أحمد ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة، ١٩٨٠ ، ج٢ ، ص١٤٩ .

[٥] – ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٣٢١ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٦٨ – ٦٩ .

إن تلك الانتصارات التي حققها نور الدين في بلاد الشام ، وصده للصليبيين جاءت في وقت كانت فيه الخلافة العباسية في أشد الاحتياج إلى قوتها الحربية من أجل دعم وجودها السياسي وفي صراعها مع سلاجقة العراق وإيران ، من جانب آخر كان للخلافة دورها الكبير في استقدام جيوش المشرق وحث أمرائه على دعم نور الدين [١].

يتضح من تلك السياسة مدى توطد العلاقات بين الجانبين ، ووجود أهداف ومصالح مشتركة بينهما ، وكذلك أوجدت تحالفًا سياسيًا وثيقًا ، فاحتفظت فيها دولة نور الدين بكيانها واستقلالها السياسي دون المساس به ، إذ تميزت سياسته بالرغبة في الإفادة منهم لا إثارة المشكلات من خلال معاداتهم ، وإلى جانب ذلك كانت هناك علاقات عسكرية [٢] ، واقتصادية [٣]، وثقافية [٤] ، دعمت من تلك العلاقات ، وبصفة عامة أفاد نور الدين من العباسيين في دعم مشروعية حكمه ، ومن دعمهم له في صراعه مع الوجود الصليبي في بلاد الشام [٥].

٢. العلاقة مع الدولة الفاطمية :

---

[١] – عاشور ، فايد ، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٦٨ .

[٢] – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٣٢١ .

[٣] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٥٥ .

[٤] – العماد الحنبلي ، شدرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٤٣ .

[٥] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٧٤ .

مرت العلاقة بين نور الدين محمود والدولة الفاطمية في مصر بعدد من المراحل والتطورات ، تبعًا لطبيعة سياسة الفاطميين ومواقفهم من الصراع العربي الصليبي ، وقد تدرجت تلك العلاقة من محاولة التنسيق العسكري بين الجانبين لمواجهة الوجود الصليبي إلى الصلات الدبلوماسية وانتهت بالصدام العسكري ، وهذه المراحل هي :

أ. **المرحلة الأولى :**

تمثلت هذه المرحلة في محاولة التنسيق العسكري ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام ، إذ إن الفاطميين رغبوا في استعادة أملاكهم التي فقدوها من جراء الغزو الفرنجي ، وأرادوا أن يظهروا أمام رعاياهم على أنهم يدافعون عن ديار الإسلام ، فوجدوا في دولة نور الدين القوة التي يمكن التعاون معها ، لتساعدهم على تحقيق طموحاتهم وأهدافهم تلك [١]، عندها قام الوزير الفاطمي ابن السلار بالاتصال بنور الدين يعرض عليه التحالف معه من أجل شن حملات حربية مشتركة ضد الصليبيين على أساس أن نور الدين يتقدم بقواته من ناحية الشمال ، ويقوم في نفس الوقت الأسطول الفاطمي بمهاجمة المدن الساحلية الشامية المحتلة من قبل الصليبيين [٢].

وحاول أسامة بن منقذ التوسط بين الجانبين ، إلاّ أن نور الدين رفض ذلك وأوضح له مدى انشغاله بأمر دمشق ، وأن عدم حسم أمرها يحول دون التعاون المشترك مع الفاطميين ، إذ إن دمشق في تلك الأثناء لم تسقط في قبضة نور الدين [٣]، مما دفع ابن السلار أن يواجه الصليبيين فجهز في سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م

---

[١] – محمد حلمي محمد ، مصر والشام والصليبيون ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٥١ .

[٢] – بن منقذ ، الاعتبار ، ص١٠ .

[٣] – نفسه ، ص١٤ .

أسطولاً أنفق عليه أموالاً وفيرة ، وهاجم المدن الساحلية ، وبلغ ذلك نور الدين إلاّ أنه ما زال منشغلاً بمدينة دمشق (١).

إن تلك الاتصالات التي جرت بين الجانبين تدل على أن الوزير الفاطمي اعترف ولأول مرة بالقوة السياسية والعسكرية لدولة نور الدين(٢)، وقد يكون سبب عدم التعاون فيما بين الطرفين أن نور الدين أراد الانفراد بأمر قتال الصليبيين(٣)، أو أنه خشي من مغبة التورط في تعاون عسكري مشترك مع الفاطميين (٤).

ب. المرحلة الثانية :

تمثلت في سلسلة من الاتصالات الدبلوماسية الهادفة إلى توطيد العلاقات السياسية بينهما ، وقد وصلت إلى القاهرة سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م سفارة من جانب نور الدين محمود (٥)، وتكرر ذلك عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م ، وردت الخلافة على تلك السفارة بأن تم رد السفير إلى بلاده ، ومعه هدايا وأسلحة وعينيات أخرى ، وذلك من أجل دعم صراع نور الدين مع الإفرنج (٦).

وإلى جانب ذلك هناك سفارة أخرى سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م من جهة نور الدين محمود (٧)، وفي سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م سفارة من جهة الفاطميين حيث أظهروا فيها ودهم لنور الدين ، وأرسل الخليفة العاضد بالخلع والهدايا لنور الدين ، هذه السفارات

---

(١) – المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمي محمد ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ج٣ ، ص٢٠٢ .

(٢) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٨٤ .

(٣) – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص٦٥٨ .

(٤) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٨٤ .

(٥) – المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٣ ، ص٢٣٠ .

(٦) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٥٣ .

(٧) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٨٤ .

تدل على أن الخلافة الفاطمية أدركت ضرورة الاستفادة من قوة نور الدين وخاصة عندما أضحت الدولة النورية تتمتع بثقل سياسي وعسكري ، وأصبحت مرهوبة الجانب من قبل الإفرنج [١].

ج. المرحلة الثالثة :

اتبع نور الدين محمود في هذه المرحلة سياسة التدخل العسكري المباشر في مصر سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م [٢]، وذلك من أجل حسم الصراعات السياسية الداخلية فيها المتمثلة في الانقسام الداخلي والصراع الوزاري ، وبخاصة عندما تولى الوزارة الفاطمية شاور بن مجبر السعدي [٣]، وساءت أوضاع البلاد في ظل وزارته ، فخرج عليه ضرغام بن عامر بن سوار وهو أحد القادة العسكريين وطرده من السلطة [٤]، عندها بحث شاور عن حليف قوي فلم يجد سوى نور الدين محمود في بلاد الشام المجاورة والذي قدم إليه ، مرغبًا إياه في التدخل العسكري المباشر في مصر لإعادته إلى الوزارة [٥]، هكذا جاءت الفرصة لنور الدين في تدخله العسكري لمصر ، فسار الجيش النوري حتى بلغ مصر وعبر النيل عند اطفيح ، وسيطر على المناطق الغربية ونزل بالجيزة قبالة الفسطاط [٦]، مما أجبر شاور على الإسراع في طلب النجدة من الإفرنج طالبًا دعمهم الحربي ، وهكذا تكرر أمر تحالفه مع العدو المشترك للدولة النورية والفاطميين من أجل مصالحه السياسية الشخصية [٧].

---

[١] – المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٣ ، ص٢٦٠ .

[٢] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٨٧ .

[٣] – إبراهيم ، حسن ، الفاطميون في مصر ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص٣٠١ .

[٤] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٤٥ .

[٥] – الحريري ، سيد علي ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩ ، ص١١٧ .

[٦] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٣٦١ .

[٧] – ابن شداد ، بهاء الدين ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص١٣٧ .

المبحث الثاني

نور الدين مع الإمارات الصليبية

أولاً : إمارة انطاكيا

ثانيًا : إمارة طرابلس

ثالثًا : إمارة الرها

رابعًا : إمارة بيت المقدس .

مدخل :

تقع هذه الإمارات في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، وهي الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس ، وكل واحدة من هذه الإمارات تتميز بموقعها وأهميتها ودورها في أحداث المنطقة ، فالرها تقع في أعلى نهر الفرات ، وانطاكية في أقصى شمال الشام ، وطرابلس على الساحل اللبناني المطل على البحر المتوسط ، وبيت المقدس في فلسطين ، فكلها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا مع بعضها البعض[١]، ينظر الملحق رقم (٥) .

أولاً : إمارة انطاكية :

لقد حظيت هذه الإمارة باهتمام كبير من مجهودات الدولة الزنكية من الناحية الحربية ، حيث إن الدولة تريد أن تحقق أهدافها في إعادة الأراضي الإسلامية ، فانطاكية لها شهرتها بالنشاط التجاري ، لأنها تمثل مركزًا لتصريف التجارة الشامية إلى أوروبا [٢]، كما تصلها التجارة من أعالي الجزيرة ، مما جعلها المركز الرئيسي للسلع التجارية من بلاد الصين والهند ، ونظرًا لتلك الأهمية التجارية حرصت المدن الإيطالية التجارية على الحصول على مراكز لها في هذه الإمارة [٣]، ومما عزز من أهميتها الاقتصادية أنها كانت مخرجًا للتجارة الحلبية ، وكذلك العديد من المدن الشامية الداخلية مثل حمص ودمشق وحماة وغيرها [٤].

إن رغبة الدولة النورية في ضم مناطق جديدة إليها اصطدم مع مصالح القوى الكبرى في المنطقة ، ولاسيما الإمبراطورية البيزنطية ، ومملكة بيت المقدس اللتان لم تقبلا بتوسع نور الدين لأنهما رأتا فيه تهديدًا لمصالحها التجارية ، وكانت تلك الدول

---

[١] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦١ .

[٢] – زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص٨٥ .

[٣] – زيتون ، عادل ، العلاقات الاقتصادية بين المشرق والغرب في العصور الوسطى ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص٣٣١ .

[٤] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦٢ .

حريصة على أن تبقى دولة نور الدين دولة داخلية دون وجود منفذ بحري لها على ساحل المتوسط [١].

ولكن دولة نور الدين تمكنت من خلال مراحل الصراع مع إمارة إنطاكية من السيطرة على ميناء السويدية [•] ، إلاّ أنها وبسبب التدخل من مملكة بيت المقدس لم تستمر سيطرتها عليها فانسحبت من هذا الميناء ،[٢] وفي إطار جهود نور الدين لتأمين حدود دولته من ناحية الشمال وخاصة حلب من خطر الأفرنج ، لأن حدودها متاخمة مع دولة نور الدين الشمالية ، وقد حالفه النصر في معظمها [٣]، وأفاده نور الدين من انتصاره فعمل على الاستيلاء على عدد من الحصون الانطاكية في كل الوادي الأوسط لنهر العاصي، منها أرزمان وأنب وعم واجتاح سهل انطاكية ، وبذلك قضى على المراكز الصليبية الأمامية الواقعة بين حلب وأنطاكية [٤] كما هدد انطاكية نفسها وحاصرها [٥]، وتم له المحافظة على ما تم إنجازه في عهد والدة عماد الدين زنكي [٦]، ينظر الملحق رقم (٥) .

ثانيًا : إمارة طرابلس :

---

[١] – عطية ، حسين محمد ، إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ، تقديم جوزيف نسيم يوسف وبيترولييام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٢٤٩ .

[•] – السويدية : تقع شمال غرب سورية ، وهي مرسى لمدينة انطاكية على البحر المتوسط . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦٦ .

[٢] – إبن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٣٠٥ .

[٣] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٤٣ .

[٤] – عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس ، ص١٥٢ .

[٥] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦١ .

[٦] – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

لقد مثلت إمارة طرابلس الامتداد الشمالي لمملكة بيت المقدس ، بحدودها الفلسطينية وحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشرق الدولة الزنكية ، ومن الشمال إمارة انطاكية (١)، وكما احتلت أهميتها الاقتصادية هي الأخرى ، إذ مثلت مخرجًا للتجارة الحلبية ، وكذلك العديد من المدن الشامية الأخرى ، زيادة على ازدهار النشاط الزراعي فيها (٢)، كما احتلت هذه الإمارة أهمية متميزة لديها نظرًا لتصريف التجارة الشامية عبر موانيها إلى دول البحر المتوسط (٣)، فاتسمت سياسة نور الدين مع هذه الإمارة بالصراع العنيف من أجل إسقاط حصونها وقلاعها ، ونجح نور الدين في الاستيلاء على العديد من الحصون مثل حصن أنطوطوس• سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٣ (٤)، وحصن المنيطرة• سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م (٥)، وفي العام التالي ٥٦٢هـ/١١٦٦م تمت مهاجمة المناطق المحيطة بحصن الأكراد• ، وكسب الغنائم (٦)، وكذلك الاستيلاء على حصني صافيتا •، والعزيمة وهما من حصون الإمارة المنيعة (٧)، وغيرها من الحصون فكل هذه النجاحات زادت من تصميم نور الدين على مواصلة

---

(١) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٧٨ .

(٢) – عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية ، ص١٣٢ .

(٣) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٧٩ .

(•) – حصن أنطرطوس : في سوريا على ساحل البحر المتوسط . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧٠ .

(٤) – ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٣١٢ .

(•) – المنيطرة : حصن بالشام قريب من طرابلس الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢١٧ .

(٥) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٤٤ .

(•) – حصن الأكراد : هو حصن منيع يقابل مدينة حمص السورية من جهة الغرب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٦٥ .

(٦) – النويري ، نهاية الأرب ، ص١٥٩ .

(•) – صافيتا : قلعة في عمق المنطقة الساحلية من سوريا تقع على ارتفاع ٤٠٠ م فوق سطح البحر . تبريزي . عليا ديب ، معجم الأماكن السورية ، دمشق ، ١٩٩١ ، ص٢٢٩ .

(٧) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١٤٣ .

سياسته في إسقاط الحصون من أجل تجريدها من مصادر قوتها العسكرية ، إلى جانب ذلك غنم الغنائم الوفيرة [١]، ينظر المحلق رقم (٥) .

ثالثًا : إمارة الرها :

تمثل هذه الإمارة محطة تجارية للطرق المارة بشمال الجزيرة الفراتية [٢]، إذ أنها واجهة الموصل بشمال العراق وسيطرت بموقعها في أعلى الفرات على الخط الدفاعي بين حلب والموصل ، ومثلت مركزًا تمكن الصليبيون من خلاله من دعم الاتصال بالمسيحيين في جورجيا وعزل الأتراك في الأناضول عن بقية العالم الإسلامي [٣].

كذلك كانت إمارة الرها بمثابة دولة حاجزة في مواجهة المسلمين ، فكان عليها أن تواجه أولى الهجمات الإسلامية على الكيان الصليبي [٤]، ولهذا أراد نور الدين أن يؤكد النجاح العسكري الذي حققه والده عماد الدين سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م[٥]، وذلك خوفًا من وجود قوة صليبية على حدودها الشمالية الشرقية ، هذا الأمر الذي من شأنه أن يعرقل حركة الاتصال بين شمال الشام وشمال العراق ، وخاصة عندما أراد نور الدين أن يحصل على الدعم الخارجي المادي والعسكري من العباسيين [٦].

---

[١] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٥١٦ .

[٢] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦٢ .

[٣] – الحويري ، محمود ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين ، ١٢-١٣ ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص١٣١.١٣٠ .

[٤] – عطا ، زبيدة ، الترك في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٩١ .

[٥] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦٤ .

لذلك كان لنور الدين اعتبارات عدة دفعته إلى الإسراع نحو القضاء على محاولة جوسلين الثاني استرداد إمارته المفقودة في سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م بعد مقتل عماد الدين [١]، فضلاً عن أنه أراد أن يوقف أية توسعات صليبية في المنطقة الممتدة من شمال العراق ، كذلك فإن عودة سيادة الإفرنج على الرها ، كان من شأنه توجيه ضربة قوية لخط الدفاع الإستراتيجي القائم بين المدينتين ، والذي حرص نور الدين على عدم خضوعه لسيطرة الإفرنج بأية وسيلة [٢].

وعلى الرغم من أن إمارة الرها لم تكن ضمن أملاكه وفقا لاتفاق الخابور ، الذي عقد بعد وفاة عماد الدين سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م [٣]، من أجل تقسيم أملاك عماد الدين بين أبناء زنكي ، فملك نور الدين حلب وما حولها بينما سيف الدين غازي ملك الموصل ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور [٤]، فكانت إمارة الرها ضمن أملاك سيف الدين غازي أي أنها تابعة للموصل [٥]، ولكن محاولة الصليبيين في الاستيلاء على هذه الإمارة ، زادت من إدراك نور الدين لأهميتها في الصراع الإسلامي والصليبي ، وأهمية زيادة دفاعاتها لمواجهة الأطماع الصليبية [٦].

إن سياسة نور الدين تجاه إمارة الرها تركزت في القضاء على محاولة أمر استردادها أولاً ، ثم اتجاهه إلى أسر أميرها جوسلين الثاني وإسقاط أملاكه ، وبذلك استطاع الحفاظ على ما تم إنجازه في زمن والده ، والقضاء على المراكز الحصينة التي سيطر عليها جوسلين الثاني [٧]، ينظر الملحق رقم (٥) .

---

[١] – ابن خلدون ، المقدمة ، ج٥ ، ص٢٣٨ .

[٢] – النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص١٥٦–١٥٧ .

[٣] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص١٥ .

[٤] – ابن الأثير ، الباهرة في التاريخ ، ص٨٤ .

[٥] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١١٣

[٦] – ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٣٠١ .

[٧] – محمد مؤنس أحمد عوض ،في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٦٨ .

رابعًا : إمارة بيت المقدس :

مثلت مملكة بيت المقدس العدو الرئيسي لنور الدين الذي حرص على مواجهتها بكافة الوسائل الممكنة سواء الحربية أو السليمة من خلال عقد المعاهدات الاقتصادية والعسكرية [١].

ولقد عاصر نور الدين اثنين من أقوى ملوك بيت المقدس هما بلد وين الثالث ٥٣٩ . ٥٥٧هـ / ١١٤٤ . ١١٦٢م ، وعموري الأول ٥٥٧ . ٥٦٨هـ/١١٦٢. ١١٧٤م[٢]، ويعدّ بلدوين الثالث أول الملوك الصليبيين الذين ولدوا على أرض المملكة ، وسيطرت عليه والدته ميلزندا ، وقد تمكن من توسيع حدود المملكة استولى على عسقلان وأمن حدودها الجنوبية ، كما عمل على تشييد عدة قلاع وحصون من أجل مواجهة أعدائه المسلمين [٣].

أما عموري الأول فإنه أراد توسيع حدود المملكة وعمل على غزو مصر وإخضاعها لسيطرته ، كما سعى إلى طلب يد العون من البيزنطيين لتنفيذ مشاريعه التوسعية وخاصة في مصر[٤]، ولقد وجّهت سياسة نور الدين الخارجية عدة دوافع منها الدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وكان الدافع الديني في مقدمة توجهاته نحو مملكة بيت المقدس[٥]، لأن نور الدين رأى في نفسه المدافع الرئيسي عن الإسلام ، وواصل الحرب على أساس ديني[٦]، مع عدم إغفال الدوافع الأخرى التي تأتي في

---

(١) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص٩٢ .

(٢) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٣٧ .

(٣) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥١٦ .

(٤) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٨٨٤ .

(٥) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٣٨ .

(٦) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٦٤ .

المرتبة الثانية (١)، إلى جانب ذلك أن هدفه كان توحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ومصر ضد الصليبيين(٢)، فحرصت الدولة النورية على الاستيلاء على عدد من القلاع والحصون الإستراتيجية من أجل إضعاف فعاليات المملكة عسكريًا ولتأمين حدود الدولة الزنكية (٣)، فكل ذلك دفع نور الدين إلى توجيه سياسته لتلك المملكة بتجهيز الجيوش ضدها فاتبع هذه الوسيلة من أجل تحقيق تلك الدوافع (٤)، فكل الحروب التي خاضها ضد هذه المملكة لم تكن مستمرة بل كانت موسمية ۞ ، ومن ناحية أخرى تميزت العلاقة السلمية بين الطرفين بصورة معاهدات عقدت بين الطرفين : ففي سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م اتخذ نور الدين سياسة المهادنة مع مملكة بيت المقدس(٥)، وفي سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م عقدت معاهدة تنص على استمرار الفدية التي كانت تدفعها الدولة الزنكية لتلك المملكة ، ولكن هذه المعاهدة خرقت عندما هاجم بلدوين الثالث بانياس (٦).

نلاحظ أن نور الدين كان حريصًا على تلك المعاهدات وذلك من أجل أن يتفرغ لشئون دولته الداخلية ، فضلاً عن الذكاء الذي يتميز به نور الدين بعقد الاتفاقيات

---

(١) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٤٤ .

(٢) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٤٠ .

(٣) – ابن الكثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٨٦ .

(٤) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٢٨٢ .

(۞) – تميزت الحرب بين الطرفين بأنها كانت موسمية ويكون في فصل الربيع والصيف فصلان ملائمان بالعمليات الحربية ، لأن فصل الشتاء في الشام تنهمر فيه الأمطار الناجمة عن الرياح الغربية العكسية وكذلك الثلوج المتساقطة في بعض المناطق ، الأمر الذي عاق تقدم الجيوش ونقل الآلات الحربية وأما العمليات التي كانت في الشتاء فهي نادرة جدًا . أنظر محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٥٥ .

(٥) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٣١ .

(٦) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

ليريح قواته من عناء الحرب ويدعمها في آن واحد حتى تكون على استعداد أكثر ، هذا يتضح من خلال العلاقات بين الإمارات الصليبية والزنكية فمثلاً مع إمارة إنطاكية أرادت الدولة الزنكية إحكام قبضتها على موقع مهم من سهل نهر العاصي ومد الحدود إلى ميناء السويدية الإستراتيجي ، المنفذ البحري لهذه الإمارة ، ولهذا فإن نور الدين أراد أن يحظى بالسيطرة على أحد الموانى لينافس الموانى التي سيطر عليها الإفرنج .

أما إمارة طرابلس فقد رغب نور الدين في السيطرة على مراكزها الحصينة قلاعها وحصونها ، بخلاف سياسته تجاه مملكة بيت المقدس إذ إنه عقد معاهدات معها حتى يضمن مصالح بلاده ، ليحقق أهدافه ولحسم الصراع لصالح المسلمين على حساب الصليبيين ، ينظر الملحق رقم (٥).

الفصل الثالث

سياسة نور الدين الوحدوية
في بلاد الشام ومصر

المبحث الأول : توحيد بلاد الشام والموصل .

المبحث الثاني : محاولات الوحدة مع مصر .

المبحث الأول

توحيد بلاد الشام والموصل

أولاً : توحيد بلاد الشام .

١. إمارة انطاكيا .

٢. إمارة الرها .

٣. إمارة دمشق .

ثانيًا : ضم إمارة الموصل .

أولاً : توحيد بلاد الشام :

أتاحت وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ، وتقسيم أملاكه بين ولديه فرصة طيبة لأعداء الدولة الزنكية من المسلمين والصليبيين على السواء [١]، ففي الجنوب أسرع معين الدين أنر حاكم دمشق احتلال بعلبك ، وأخضع حكام مدينة حمص وحماه ، ودانوا له بالولاء [٢]، في الشرق استرد أمراء الأراتقة في ديار بكر المدن التي أخذها منهم عماد الدين زنكي [٣]، أما في الوسط أي في شمال الشام فقد قام ريموند أمير أنطاكية بحملة على مدينة حلب حتى وصل إلى أسوار المدينة [٤]، ولكن جوسلين الثاني الذي كان ما يزال قابعًا في تل باشر ، فقد أتاحت له كل هذه الظروف فرصة ليعمل على استرداد إمارة الرها فاحتلها فعلاً ، ولكن نور الدين وبفعل شجاعته استطاع استعادة إمارة الرها بعد أسبوع سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م [٥].

إن نور الدين لا يقل شجاعة وكفاءة عن أبيه ، وأثبت لهم ذلك في السياسة التي أتبعها والتي استهدفت محاربة الإفرنج ، وفي نفس الوقت استمالة القوى الإسلامية المتعددة شمال العراق وفي الشام واكتساب ودها وصداقتها [٦]، وأخذ يوسع مملكته على حساب الصليبيين ، ففتح عدة حصون وقلاع ومعاقل ينظر الملحق رقم (٦) [٧]، وقد بدأ نور الدين محاولته لتوحيد بلاد الشام بالخطوات والمراحل الآتية :

---

[١] – إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١١٢ .

[٢] – على حسن الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١١٤ .

[٣] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس ، ص١٧٩ .

[٤] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٥٠ .

[٥] – اليوسف ، عبد القادر أحمد ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية ،(صيدا . بيروت)، ١٩٦٩ ، ص١١١-١١٢ .

[٦] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١١٢ .

[٧] – محمد المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص٦٩ .

١. إمارة انطاكية :

هاجم نور الدين إمارة إنطاكية سنة ٥٤٢ . ٥٤٣هـ/١١٤٧. ١١٤٨م (١)، هذه الإمارة ذات الأسوار القوية بأبراجها العالية التي أثارت كل من رآها وطمع فيها، ووقفت حائلاً بينه وبين اختراقها ، هذا ومن ناحية أخرى كان وجودها في الوادي بين النهر والجبل ، جعلها صعبة المنال سواء برًا وبحرًا (٢)، كما تميزت بالحصانة والموقع الإستراتيجي ، حيث تقع في ملتقى الطرق التجارية ، إذ مثلت مركز منافسة لمدينة حلب بشمال الشام ، وذلك لتصريف التجارة الشامية إلى عالم البحر المتوسط وأوروبا (٣)، ولهذا كانت هذه الإمارة محط أنظار الجميع ، فعندما ساهم ريموند في استيلاء الفرنج على بانياس ، تحمل وزر سقوط أول إمارة لاتينية قامت في المشرق الإسلامي (٤)، ففي سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م هاجمت قوات نور الدين الأقاليم المحيطة بقلعة حارم •، فحتلتها ودمرت ما حولها من القرى ، عندها أسرع ريموند بواتيه صاحب أنطاكية بقواته لمنازلة نور الدين ، فاستطاع نور الدين أن ينتصر على ريموند وجيشه في معركة قرب أنب • ، هزم فيها الصليبيين وقتل فيها ريمونيد بواتيه ، ورينو صاحب كسوم ومرعش (٥)، فضلاً عن علي بن وفا أحد زعماء الأسماعلية النزارية •، الذي

---

(١) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص٤٣ .

(٢) – ابن الشحنة ، الذر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص٢٢٠ .

(٣) – نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ، ص١٥٢ .

(٤) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٠٢ .

(•) – قلعة حارم : تقع على الضفة الشرقية لنهر العاصي . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٠٥.

(•) – أنب : حصن من أعمال إعزاز من نواحي شمال بلاد الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٥٨.

(٥) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١٥٣ .

(•) – الإسماعيلية النزارية : هي فرقة من فرق الشيعة ، تفاقمت معارضتهم للدولة إذ أن السلطة السياسة القائمة كانت في أيدي العناصر السنية ، بينما حرم الإسماعيلية من الاعتراف الرسمي بوجودهم على نحو متساو مع الوجود السني ، محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي . الصليبي ، ص٣٤ .

انضم إلى صفوف الصليبين للانتقام من نور الدين الذي أراد تصفيتهم [١]، وقام نور الدين بإرسال رأس ريموند إلى الخليفة العباسي في بغداد [٢].

استغل نور الدين هذا النصر واتجه بقواته نحو انطاكية ، وتمكن من تحرير جميع المدن والقرى المحيطة بها من الصليبيين ، حتى وصل إلى باب انطاكية فحاصرها وخشي أهلها من نور الدين ، فعرضوا عليه أن يعطوه كل ما يملكون من أموال ومتاع على أن يترك مدينتهم ويعطيهم مهلة ، فرتب نور الدين قواته للإقامة على مشارف انطاكية ومنع من الوصول إليها[٣]، وسار بقواته إلى أفاميا [•] ، فخاف سكانها فأعلنوا استسلامهم لجيش نور الدين الذي دخلها بعد أن أمّنْ أهلها ، وفي سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م استولى نور الدين على هذا الحصن قبل وصول الصليبين ، فملكة وملأه ذخائر وأسلحة ، وجميع ما يحتاج إليه[٤]، وبعد ذلك عاد الجيش النوري إلى حلب يستعد لمعركة ظافرة بعد أن بلغ مسامع نور الدين بأن الصليبيين تجمعوا في القدس ليتجهوا إلى الشمال لإنقاذ إمارة أنطاكية [٥] ، ينظر الملحق رقم (٥) .

٢. إمارة الرها :

بعد أن وصل خبر وفاة عماد الدين الزنكي إلى الفرنج ، تجددت آمالهم في استعادة إمارة الرها من المسلمين [٦]، وكان جوسلين الثاني لا يزال مقيمًا في

---

(١) – ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٢٩٩ .

(٢) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢١ .

(٣) – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٣٠ .

(•) – أفاميا : حصن منيع قرب مدينة حمص وحماه على سواحل الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٧.

(٤) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٣ .

(٥) – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٠-١٣١ .

(٦) – وليم الصور ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص١٥٨ .

تل باشر ، وهو من أشد الفرنجة شجاعة وأقواهم بأسا وأعظمهم مكيدة [١]، مما أضطر نور الدين إلى مهادنته أكثر من مرة ، لكي يتفرغ لأعماله الحربية ، رضي جوسلين بهذا الوضع حتى سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م حيث قرر نور الدين التخلص نهائيًا من هذا الجيب الصليبي ، فجهز جيشًا اتجه به إلى تل باشر[٢]، وعندما علم جوسلين بذلك سارع إلى عقد حلف مع بعض حكام الأتراك والأرمن المناوئين لنور الدين[٣]، وتمكن جوسلين من عبور نهر الفرات وساعده الأرمن على فتح أبواب الرها والاستيلاء عليها[٤]، وعجز عن اقتحام قلعتها[٥]، نظرًا لمناعتها وتجهيزاتها بالمعدات والرجال ، وعدم جلبه لآلات الحصار اللازمة لاقتحامها[٦]، وتمكن من إلحاق الهزيمة بجيش نور الدين وقتل وأسر عددًا كبيرًا من المسلمين[٧].

غضب نور الدين من الهزيمة التي لحقت بقواته ، وأدرك من خلال هذه الأحداث ضرورة حرمان الفرنج من قيادة جوسلين الثاني فاعتمد على الحيلة ، فاتفق مع جماعة من التركمان ووعدهم بالوعود الجميلة إن أتوه بجوسلين أسيرًا ، وبالفعل نجح في ذلك [٨]، ثم سمل عيني جوسلين وأودعه في السجن إلى أن أدركته المنية عام ٥٥٤هـ / ١١٥٩م [٩]، وبعدها شرع نور الدين في الاستيلاء على أملاكه مثل تل باشر ، وعين تاب وإعزاز ، وتل خالد ، قورس ، والرواندان ، وبرج الرصاص، ومرعش

---

[١] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١٥٤ .

[٢] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١١ ، ص٥٧٢ .

[٣] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص١٤٥ .

[٤] – ابن خلدون ، المقدمة ، ج٥ ، ص٢٣٨ .

[٥] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص١٥٨ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٣٢٢ .

[٧] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٣ .

[٨] – تسير بن موسى ، نظرة عربية على غزوات الإفرنج ، ص١٤٨ .

[٩] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص201 .

، وغيرها من الأملاك [١]، وكلما فتح حصن نقل إليه كل ما يحتاج إليه الحصن خوفًا من نكسة تلحق المسلمين من الفرنج وهكذا أصبحت أملاك إمارة الرّها ومعظم أملاك إمارة أنطاكية خاضعة لسيادة نور الدين [٢]، ينظر الملحق رقم (٥).

٣. إمارة دمشق :

لقد كانت السيادة على دمشق بالنسبة لنور الدين ومن قبله أبيه عماد الدين أملاً عزيزًا وعملاً مهمًا ، وطريقًا لفتح بيت المقدس ودحر الفرنج [٣]، في الوقت الذي تمكن فيه الفرنج من احتلال مدينة عسقلان• بقيادة الملك بلدوين الثالث سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م [٤]، وبسقوط عسقلان أمن الفرنج سيطرتهم على ساحل الشام وفلسطين بأحمعة من اسكندرونه في الشمال حتى عزة في الجنوب ، الأمر الذي حرم المسلمين من قاعدة بحرية طالما استغلوها في مهاجمة الممتلكات الصليبية في فلسطين [٥].

وبسقوط عسقلان طمع الفرنج في دمشق واستضعفوا أميرها مجير الدين أنر وتابعوا غاراتهم على أعمالها[٦]، إلى أن أصبحت دمشق تحت حماية الصليبيين ، فصار أهلها يدفعون ضريبة سنوية لمملكة بيت المقدس مقابل حمايتهم [٧].

---

(١) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ص٢٠٢ .

(٢) – محمد المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص٧١ .

(٣) – تيسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٤٩–١٥٠ .

(•) – عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، ويطلق عليها بعروس الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٢٢.

(٤) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٩٧ .

(٥) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٧٨٦ .

(٦) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج١٣ ، ص٧٨٦ .

(٧) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٢٤٥ .

علم نور الدين بما جرى في دمشق ، وخشى على أهلها من الغزاة ، وفكر في طريقة سهلة لأخذها وإنقادها من هؤلاء ، فأخذ يلاحق حاكمها مجير الدين ، ويظهر له المودة ، ويرسل له الهدايا ، حتى وثق به(١)، ثم أخذ يثير شكوكه ضد كبار رجاله ، مما دفع به إلى التخلص منهم واحدًا بعد الآخر(٢)، ثم كاتب الأهالي ووعدهم بالإحسان إليهم ، فاستمالهم إليه ثم نظم قواته ورتبها ، فزحف على دمشق وحاصرها(٣) ، مما أجبر مجير الدين على الاستعانة بالفرنج ، وبذل لهم الأموال وقلعة بعلبك إذا نجحوا في طرد نور الدين عنه (٤).

كتب نور الدين إلى مجير الدين أن هدفه من حملته على دمشق هو إعادة ما اغتصبه الفرنج من الأموال من الفلاحين ، وكان عليه أن لا يستصرخ الفرنج لقتاله ، فرد عليه مجير الدين " السيف بيننا وبينك وفي سيوفنا من الإفرنج ، ما يعيننا على دفعك أن قصدتنا ونزلت علينا "(٥) .

وجرت الأمور كما يريد نور الدين فعند اقترابه من أسوار دمشق ثار الأهالي وفتحوا الباب الشرقي له ، فدخل نور الدين المدينة (٦)، وتحصن مجير الدين بالقلعة، فراسله نور الدين أن يسلم القلعة على أن يعطيه إقطاعًا في مدينة حمص ، فوافق عن ذلك(٧)، ولكن بعد أسابيع راسل مجير الدين أهالي دمشق للتآمر ضد نور الدين وأن يسلموه دمشق ، فرفضوا ذلك ، فعزله نور الدين وانسحب إلى بغداد وتوفى هناك(٨).

---

(١) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٦ .

(٢) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص٧٠ .

(٣) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٤٥٠ .

(٤) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٥) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٥٠٥ .

(٦) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٠٨ .

(٧) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٥٠٥ .

(٨) – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٢٢ .

أما أهالي دمشق فقد استقبلوا نور الدين بكل مظاهر الفرح والسرور[١]، وأسرع نور الدين إلى توفير المؤن ، وألغى الضرائب المفروضة على الخضروات والغلال ، ومنع جنوده من النهب والسلب[٢]، ثم عاد نور الدين إلى حلب وأناب عنه نجم الدين أيوب في حكومة دمشق[٣]، وبذلك صفت الممالك الشامية جميعها لنور الدين [٤]، وكان بضم دمشق نقطة تحول خطير في تاريخ الحروب الصليبية ، وفي تاريخ العلاقات بين دمشق ومملكة بيت المقدس ؛ لأن نور الدين حقق نوعًا من التوازن بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام إذ أصبح نور الدين يملك من الرها شمالاً حتى حوران جنوبًا ، فامتدت دولة إسلامية واحدة مركزها مدينة دمشق [٥]، ينظر الملحق رقم (٧).

ثانيًا : ضم إمارة الموصل :

بقيت إمارة الموصل في يد شقيق نور الدين الأكبر سيف الدين غازي مستقلة عن دولة نور الدين[٦]، واتسمت العلاقات السياسية بين الطرفين بالصراع والتنافس ، إذ اعتبر سيف الدين غازي نفسه الوريث الشرعي لأملاك عماد الدين زنكي ، نظرًا

---

[١] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٨١٥ .

[٢] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص١٤٦ .

[٣] – السيد الباز العريني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٥٥٠ .

[٤] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٧ .

[٥] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس ، ص٢٦٠-٢٦١ .

[٦] – تسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٥٣ .

لأنه الابن الأكبر[١]، ورأي أن استيلاء نور الدين على حلب وجعلها مركزًا لدولته الناشئة يعد عصيانًا وتمردًا عليه[٢]، ومن الطبيعي أن المناطق التي خضعت لسيطرته لم تكن تنافس ما سيطر عليها أخوه ، فشمال الشام كان متفوقًا بتجارته المزدهرة على شمال العراق ، ومن ناحية أخرى تطلع نور الدين إلى ضم مناطق شمال العراق لاعتبارات استراتيجية تجارية ، رغبة في تأمين الطرق والخطوط بين الشام والعراق ، وتأمين القوافل التجارية بينهما ، وإن خط الموصل حلب له أهمية اقتصادية كبيرة [٣].

كما أن الدفاع عن مدينة حلب يبدأ من الموصل ، فهذه الأخيرة أصبحت من مراكز الدفاع عن شمال الشام وخط تراجع لنور الدين في حالة استيلاء الفرنج على حلب[٤]، ولذا حرص نور الدين على إيجاد سبل للتعاون مع أخيه ضد الصليبين ، لاشك أنه احتاج إلى الدعم البشري من شمال العراق سواء من العناصر الكردية أو التركية ، حتى يستثمر طاقات أخيه الحربية ضد أعدائه [٥]، كما سعى نور الدين إلى الحفاظ على علاقات ودية مع أخيه [٦] من خلال إرسال قسم من الغنائم والأسرى من الفرنج له مثلما حدث بعد انتصاره على إمارة أنطاكية في معركة يغرى • سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م [٧]، ولكن سيف الدين غازي أدركته المنية سنة

[١] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٢٣ .

[٢] – تسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٢٥ .

[٣] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٢٣ .

[٤] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص١٥٨ .

[٥] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٢ .

[٦] – النبراوي ، فتحية ، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصر الوسيط ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص١٨٥ .

[•] – يغري : اسم نهر يقع شمال انطاكية . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

[٧] – النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص١٥٣ .

٥٤٤هـ/١١٤٩م [١] ، وتولى حكم الموصل وغيرها من أملاك غازي أخوه قطب الدين مودود [٢]، وتجددت طموحات نور الدين التوسعية ، وعادت مشاكل الحدود تظهر من جديد ، والاستيلاء على سنجار [•]، وكان الهدف من الاستيلاء عليها هو إكمال سيطرته على أملاكه ، بما فيها مدينة حمص التي كانت في حوزة سيف الدين ، واتخذ نور الدين من سنجار ورقة رابحة للمساومة بها على مدينة حمص [٣]، وفعلاً نجح في ذلك إذ تم الاتفاق بين الطرفين على أن يسلم نور الدين سنجار إلى قطب الدين ويسلم الأخير حمص له [٤].

دخلت العلاقات بين الموصل وحلب في مرحلة سلم وتعاون [٥]، حتى أن نور الدين عندما أصيب بمرض خطير ، جمع أمراءه وقاداته وطلب منهم تولية أخيه قطب الدين مودود على جميع البلاد الشامية[٦]، أما في مجال التعاون العسكري فقد اشترك قطب الدين مع أخيه نور الدين في العديد من المعارك ضد الفرنج مثل اشتراكة في معركة حارم سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م [٧]، كما اشترك في الإغارة على أعمال حصن الأكراد التابع لإمارة طرابلس ومحاصرة عرقة ، والسيطرة على جبلة

---

[١] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، ص١٣٣ .

[٢] – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٨١ .

[•] – سنجار : تقع على الحدود العراقية الشامية وهي في كف جبل عال . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٦٢.

[٣] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص١٢٠ .

[٤] – ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٢٩٨ .

[٥] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٢٧ . .

[٦] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٤٦٥ .

[٧] – النويري ، نهاية الأرب ، ص٣٩٠ .

وصافيتا ومهاجمة هونين• سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م (١)، واستمرت هذه العلاقة حتى وفاة قطب الدين سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م (٢).

وبعد وفاة قطب الدين بدأ نور الدين بالتدخل العسكري في الموصل ، وحسم الصراع لصالح حلب وقام بتعيين من يقدم له الولاء ، وتولى حكم الموصل سيف الدين بن غازي بن قطب الدين مودود سنة ٥٦٤-٥٧٢هـ / ١١٦٨-١١٧٦م(٣)، هذا الأخير خضع لسيطرة الوزير فخر الدين بن عبد المسيح ، وزير سيف الدين ، عندها وجد نور الدين ذريعة للتدخل لتحقيق أطماعه ، فعبر بقواته نهر الفرات سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م ، واستولى على الرقة والخابور ، ونصيبين وضم سنجار (٤)، وعين عماد الدين زنكي الثاني عليها ، ونجح نور الدين في الاستيلاء على الموصل سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م(٥)، وعين على الموصل سيف الدين غازي (٦)، وبذلك حقق نور الدين أحد انتصاراته العسكرية والسياسية ضد خصومه المسلمين ، وصارت مدن الموصل وحلب ودمشق تمثل مثلثًا له أهمية بالغة على المستوى التجاري والاستراتيجي العسكري بصورة أكبر من قبل ، وأصبحت الموصل ولاية تابعة للسلطة النورية ، ينظر الملحق رقم (٤).

(•) – هونين بلد في جبال عامل في فلسطين بين صور وبانياس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٥.

(١) – الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢ ، ص٧٥ .

(٢) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١٤٣-١٤٤ .

(٣) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٥٢ .

(٤) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٢٨ .

(٥) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٨٢ .

(٦) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٥٦٣ .

المبحث الثاني

محاولات الوحدة مع مصر

أولاً : الحملة الأولى سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤م .

ثانيًا : الحملة الثانية سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م .

ثالثًا : الحملة الثالثة سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م .

مدخل :

في سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م تحول ميدان الصراع إلي ساحة أخرى خارج بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، أي إلى مصر وذلك لأهميتها الاستراتيجية التي تتمتع بها ،

كما أن الدولة الفاطمية بدأت في أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلادي في دور الانحدار [١]، وأصبحت مصر سهلة المنال وغنيمة لمن يريدها ، لاختلال أحوالها الداخلية [٢]، ولهذا وجد من الحوافز ما شجع كلاً من الفرنج ونور الدين على استغلالها [٣].

أما بالنسبة لنور الدين فكانت له دوافع تاريخية وسياسية لضم مصر لبلاد الشام :

١. إن مصر تشكل حلقة أساسية في وحدة المشرق الإسلامي ، فهذه الوحدة كانت موجودة منذ آلاف السنين على المستوى الحضاري والتاريخي واللغوي ، ولكن الوحدة تنقصها ، فكان هذا هدفًا أساسيًا لنور الدين في ضمها إلى بلاد الشام [٤].

٢. إن الموقع الجغرافي لمصر ، والإمكانيات البشرية والاقتصادية والعسكرية التي تزخر بها مصر تشكل الجبهة الجنوبية من الصراع الإسلامي والصليبي ، وبالتالي فإن مشاركة مصر في هذا الصراع يحدث تغييرًا نوعيًا في ميزان القوى المتصارعة ، ويمكن حسمه لصالح المسلمين [٥].

٣. إن الأطماع الصليبية في مصر جاءت بعد إخفاقهم في التوسع داخل بلاد الشام ، وذلك نتيجة لجهود نور الدين في توحيد الشام ، فأخذ الفرنج ينظرون لهذه البلاد مستغلين ضعف وانحلال الخلافة الفاطمية وتمزق جبهتها الداخلية

---

[١] – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص١٠١ .

[٢] – على محمد كرد ، خطط الشام ، ج٢ ، ص٢٤

[٣] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس ، ص٢٧٧ .

[٤] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٥٢٤ .

[٥] – وفاء جوني ، دمشق الإمارة اللاتينية ، ص٢٧٨ .

([1])، فأصبح الخلفاء ألعوبة في أيدي الوزراء الذين يتنافسون على منصب الوزارة ، وعندما ازدادت الخصومة أخذوا يلتمسون المعونة من القوى خارج مصر ([2])، وتمكن الوزراء من الاستيلاء الكلي على الخليفة الذي أصبح لا حول ولا قوة له أثر قيام خلفاء غير أكفاء على منصب الخلافة ([3]).

ومنذ أن تولى الوزارة عموري الأول عرش القدس ٥٥٨هـ/١١٦٣م([4])، صرف شغله كله نحو مصر ، لأن كونت يافا وعسقلان يعرف قيمة مصر التجارية وغيرها ، فاتجهت همته نحو التوسع جنوبًا([5])، ومن جهة أخرى إن قيام الدولة النورية في الشام ونجاحها في تحقيق الوحدة بين حلب وحماه وحمص ودمشق ، أغلق الباب أمام الصليبيين وأمام أي توسع آخر([6])، فلهذا أعد عموري العدة لغزو مصر سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م ، متذرعًا بأن الدولة الفاطمية قد منعت عن مملكة بيت المقدس الجزية ، عندها خرج على رأس حملة ووصل إلى بلبيس وحاصرها([7])، ولكن ضرغام الذي استلم الوزارة([8])، استغل فرصة فيضان النيل وجريان المياه في الأراضي ليجبر عموري الأول على الانسحاب إلى فلسطين[9]، ولم يبق لعموري الأول إلاّ الانسحاب فعاد إلى فلسطين فاشلاً([10])، إلاّ أن هذه الحملة الاستطلاعية

---

[1] – حاطوم ، نور الدين ، زيتون ، عادل ، في ذكرى معركة حطين ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ص١٢٤-١٢٥ .

[2] – على محمد كرد ، خطط الشام ، ص٣٤ .

[3] – وفاء جوني ، دمشق الإمارة اللاتينية ، ص٢٧٨ .

[4] – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٤ .

[5] – وفاء جوني ، دمشق والإمارة اللاتينية ، ص٢٧٧ .

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٣٧ .

[7] – وليم الصوري ، تاريخ الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٨٨٢ .

[8] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٣٧ .

[9] – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٢٨٧ .

[10] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٧٩ .

كانت لها فائدة كبرى لعموري وللصليبيين ، إذ أطلعتهم على مدى ضعف مصر وعظيم ثروتها ، وسهولة الاستيلاء عليها مما جعل عموري الأول يستعد لغزوة كبرى تمكنه من بسط يده على هذه البلاد (١).

ومن ناحية ثانية فإن جرأة عموري في مهاجمة مصر أثارت مخاوف نور الدين الذي لجأ إلى عدة حملات قوية في بلاد الشام سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م ، بعد وفاة بلدوين الثالث ، وذلك لتحويل نظر الإفرنج عن مصر من ناحية والاستفادة من الموقف الناتج داخل مملكة بيت المقدس عن وفاة بلدوين وقيام ملك آخر من جهة أخرى (٢)، فبدأ نور الدين بغزواته بمهاجمة حارم فحاصرها وجدّ في قتالها ولكنها امتنعت لحصانتها وكثرة من بها من فرسان الإفرنج وشجاعتهم ومقاتليهم (٣).

ولكن في سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م حصل اضطراب بسبب اختلاف الوزراء على شاور عندما تولى الوزارة ، وأصبح وزيرًا للخليفة العاضد الفاطمي فأظهر الوزير مقدرة في إدارة البلاد ، واستمال الرعية ، وعزل شاور وتولى الوزارة العادل بن صالح بن رزيك ، فما كان على شاور إلاّ أن يجمع قواته وسار إلى القاهرة ، فهرب الوزير وألقى القبض عليه وقتل ، واستلم مكانه شاور ، فعاد إلى الوزارة ثانية(٤)، ولقب نفسه بأمير الجيش ولكن ضرغام نازعه في الوزارة وتمكن من أن يتولى منصب الوزارة ، وانهزم شاور عندها توجه إلى دمشق مستنجدًا بنور الدين محمود ، متعهدًا

---

(١) – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٣) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٢٩٤ .

(٤) – الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، شفاء القلوب من مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون ، العراق ، ١٩٧٨ ، ص٢٦-٢٧ .

له بنفقات الحملة ، وغرامة سنوية قدرها ثلث الواردات المالية المصرية والتنازل لنور الدين عن بعض الحدود المصرية وأن يكون شاور تابعًا لنور الدين [١].

أولاً : الحملة الأولى سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م :

عندما جاء الوزير شاور إلى نور الدين باعتباره استجار به فأحسن إليه ، ثم أخذ شاور يلح على نور الدين في طلبة بأن يرسل معه جيشًا إلى مصر ليعيده إلى الوزارة في مصر ، وأن يكون الأمير أسد الدين شيركوه مقيمًا بعساكره في مصر ويتصرف بأمر نور الدين [٢].

ولكن نور الدين تردد كثيرًا في إرسال الحملة خوفًا من أن ينهمك في هذا المشروع أمام الأعداء[٣]، والمخاطر التي تواجه الحملة عند عبورها الصحراء[٤]، إضافة إلى ذلك قد يكون السبب في التردد عدم ثقة نور الدين بشاور[٥]، ولكن عندما هاجم عموري الأول مصر ، وتغلب على ضرغام ، وحالفه وأقرّ له دفع بالجزية خوفًا من تحالف شاور مع نور الدين[٦]، عندما وصلت هذه الأخبار إلى نور الدين اضطر أن يرسل حملة إلى مصر مع شاور سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م بقيادة أسد الدين شيركوه الذي صاحبه ابن أخيه صلاح الدين الذي كان عمره في السابعة والعشرين [٧].

---

[١] – علي حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ض١٣٥ .

[٢] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٣٨ .

[٣] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٤٠ .

[٤] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص١١٢ .

[٥] – على حسين الشطشاط ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٥ .

[٦] – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٩٣ .

[٧] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٣٠ .

عندها استنجد ضرغام بالصليبيين ، وتعهد لعموري الأول مقابل مساعدته ومدّ يد العون له ، بأن يعقد معاهدة تصبح مصر بموجبها تابعة للصليبيين(١)، ولكن القدرة والمهارة التي يتمتع بها شيركوه وإسراعه في اجتياز الصحراء جعلته يكسب قصب السبق(٢)، فوصل الدلتا قبل الفرنج ، فالتقى بعسكر المصريين بقيادة ناصر الدين شقيق ضرغام ، فانهزم وعاد إلى القاهرة (٣)، وتقدم أسد الدين بقواته إلى القاهرة سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م ، فحاول ضرغام الخروج من القاهرة لكنه قتل (٤).

وهكذا عاد شاور إلى الوزارة ، وأقام أسد الدين مع قواته خارج القاهرة ، وبعد أن اطمأن شاور على الوزارة ، تراجع عن كل وعوده إلى نور الدين ، ورفض بأن يدفع لشيركوه المال المتفق عليه ، وطلب منه الخروج من مصر(٥)، ولكن شيركوه رد على موقف شاور باحتلال بلبيس• والشرقية• ، مما جعل شاور يستنجد بالصليبيين (٦)، على إخراج شيركوه من البلاد ، فسارع الصليبيون إلى تلبية دعوته ونصرته ، وطمعوا في مُلك الديار المصرية (٧)، وعاد عموري الأول على رأس جيش إلى مصر مرة ثانية بعد أن وعده شاور بدفع مبلغ كبير من المال (٨).

---

(١) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٨٨٦ .

(٢) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٣٨ .

(٣) – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٧ .

(٤) – ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٢٩٩

(٥) – الحنبلي ، شفاء القلوب من مناقب بني أيوب ، ص٢٦-٢٧ .

(•) – بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨١.

(•) – الشرقية : كورة في جنوب مصر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٧.

(٦) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٦٨٤ .

(٧) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٣٩ .

(٨) –أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٣١ .

وعندما وصل عموري إلى مصر علم نور الدين بذلك فسار بقواته إلى أطراف البلاد من الناحية الشمالية الخاضعة للفرنج ليمنعهم من التوجه إلى مصر [١]، أما شيركوه فلم يتجه إلى القاهرة وإنما اختار أن يقوي مركزه في بلبيس[٢]، وتحصن بها [٣]، وفي هذه الفترة اجتمعت القوات الصليبية مع القوات الفاطمية ، وهاجموا أسد الدين شيركوه في بلبيس وحاصروه بها ثلاثة أشهر ، ولكن دون جدوى إذ لم ينالوا منه شيئًا [٤]، في هذه الأثناء قام نور الدين واستولى على حارم وتوجه إلى بانياس• ، وقام بذلك حتى يشغل الفرنج من هذه الناحيته ، ويجبرهم على الانسحاب من مصر [٧]، وفعلاً نجح نور الدين في هذه الخطة إذ راسل الفرنج أسد الدين شيركوه في عقد الصلح بينهم ، والعودة إلى الشام ومغادرة مصر ، على أن يعود ملك القدس عموردي الأول بقواته الصليبية إلى بيت المقدس سنة ٥٦١هـ / ١١٦٤م [٨].

لقد كان لهذه الحملة أهميتها ، فقد تعرف أسد الدين شيركوه على سوء أحوال الخلافة الفاطمية وسهولة القضاء عليها ، وخاصة عندما رأى ثروة مصر وغناها وضعف الدفاع عنها [٨].

---

(١) – أبو المحاسن ، ابن تغري بري الأتاكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٢٩ . ١٩٣٦ ، ج٥ ، ص٣٤٧ .

(٢) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٨١ .

(٣) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٢٢ .

(٤) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٤٠–١٤١ .

(•)– بانياس : مدينة على الساحل السوري شمال طرطوس ، بها قلعة المرقب ، وهي من أعمال دمشق . عليا ديب تبريزي ، معجم الأماكن السورية ، ص١٤٣ .

(٧) – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٣١–١٣٢ .

(8) – حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص١٠٨ .

(٨) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٢٩١ .

ثانيًا : الحملة الثانية ٥٦٢هـ / ١١٦٦م :

بعد أن تعرف شيركوه على أوضاع مصر في ظل الخلافة الفاطمية ، أيقن بضرورة الاستيلاء عليها والتغلب على الصليبيين[١]، وأخذ يشرح أمرها لنور الدين ليزيد قناعته بمهاجمتها ، وطلب شيركوه من نور الدين الاستئذان في احتلالها ، فأذن نور الدين بذلك[٢]، في الوقت الذي كان فيه الموقف في بلاد الشام يستدعى شيئًا من اليقظة والحذر [٣].

ومن جانب آخر قدر نور الدين أهمية ثروة مصر ، وخاف أن يستفيد منها الصليبيون حربيًا وماديًا [٤]، زد على ذلك أن الخليفة العاضد الفاطمي راسل نور الدين واستنجد به على شاور الذي استبد بالأمر وظلم وسفك الدماء [٥]، وخشي نور الدين من وقوع مصر في قبضة الصليبيين ، فاعدّ قواته ويسّرها بقيادة أسد الدين شيركوه ، ومعه صلاح الدين ابن أخ شيركوه ، ومعه ألفا فارس[٦].

سار شيركوه إلى مصر على البر وعبر نهر النيل ، ونزل بالجيزة• ، ووصل الصليبيون واجتمعوا بقوات شاور ، وساروا جميعًا لملاقاة الجيش الشامي، والتقى الطرفان في مكان يعرف بالبابين• ، ووقعت المعركة وألحقت الهزيمة بالفرنج ، وأبلى

---

(١) – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٦ .

(٢) – محمد المطوي ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص٧٤ .

(٣) – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٨٢ .

(٤) – محمد على كرد ، خطط الشام ، ج٢ ، ص٣٥ .

(٥) – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٨ .

(٦) – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٨ .

(•) – الجيزة : بليدة في غربي فسطاط مصر ، تتصل الآن بالقاهرة .

(•) – البابين : قرية تقع جنوب مدينة المنيا بعشرة أميال . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٢٧.

صلاح الدين وعمه بلاءً حسنًا وكثر القتلى والجرحى في صفوف الأعداء [1]، وتقدم شيركوه وصلاح الدين نحو الفيوم ، ومنها إلى الإسكندرية للاستيلاء عليها بهدف السيطرة على أكبر مركز بحري تجاري فاطمي على ساحل البحر المتوسط ، لكي يساوم به الصليبيين وشاور وقواته [2]، ونجح في تحقيق مأربه بمعاونة أهالي الإسكندرية ، وبعدها تركها إلى صلاح الدين ، واتجه إلى الصعيد • ، واستولى عليها ، وأصبح يستأثر يجمع خراجه [3]، في تلك الأونة اغتنم الصليبيون فرصة خروج معظم الجيش بقيادة أسد الدين شيركوه ، وتقدموا نحو الإسكندرية وضربوا حولها الحصار [4]، عندها طلب صلاح الدين من عمه النجدة العاجلة ، فاضطر شيركوه إلى العودة شمالاً ومعه المؤن والأموال [5]، واستمر القتال بين الجانبين خمسة وسبعين يومًا ، عندها أدرك عموري أنه لا فائدة من مواصلة القتال ، فعرض عليه الصلح والعودة إلى الشام ، مقابل تبادل الأسرى ، وخمسين ألف دينار ، فوافق شيركوه على هذا العرض ، بشرط أن يعود

---

(1) – ابن ظافر الأزدي ، جمال الدين أبو الحسن ، أخبار الدولة المنقطعة ، تحقيق أندرية فريبة القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص١١٥ .

(2) – العماد الأصفهاني ، العماد الكاتب ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٢ .

(•) – الصعيد : بلاد واسعة بمصر فيها عدة مدن كبيرة منها أسوان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠٨.

(3) – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٩٠٥ .

(4) – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٩ .

(5) – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص١٧١ .

الصليبيون إلى بلادهم ولا يقيموا بالبلاد فوافقوا على ذلك [1]، فانسحب شيركوه إلى الشام ، وعموري إلى القدس ، وبقي شاور في حكم مصر لوحده[2].

ثالثًا : الحملة الثالثة سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م :

نتج عن الحملة الثانية على مصر كسب مهم للصليبيين ، تمثل في جانب من جوانبه إيجاد موطئ قدم لهم على أرض مصر ففي سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م خرج عموري من مصر مضطرًا بسبب الأحداث التي وقعت في بلاد الشام [3]، بعد أن اطلع عموري على أمورها وطمعوا فيها ، كما طمعوا في الحصول على الحماية من ناحية الجنوب ، إضافة لما لمسوه من ضعف القائمين عليها [4]، فأدرك عموري أن هدفه لن يتحقق إلاّ بمساعدة قوة خارجية وذلك بسبب وقوف نور الدين موقف المدافع والحامي عن الأراضي العربية والإسلام [5].

وجد عموري المساعدة في الإمبراطورية البيزنطية ، فأباطرة هذه الإمبراطورية لم يكونوا في غفلة عما يجرى في مصر خلال السنوات الأخيرة من انحلال ، وضعف الخلافة الفاطمية ، وتنافس نور الدين وعموري الأول حول الفوز بوادي النيل [6]، وفي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م أرسل الإمبراطور البيزنطي مبعوثين إلى مملكة بيت المقدس ، وذلك للاتفاق على عمل مشترك ينص على تقسيم مصر بين البيزنطيين والصليبيين ، وتمت هذه الاتفاقية على يد المؤرخ الشهير وليم الصوري ،

---

[1] – الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص٣٠ .

[2] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٣٢٦ .

[3] – الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص٣٢ .

[4] – أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٤٥٠ .

[5] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٨٧ .

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٤٨ .

فكانت هذه الاتفاقية أكبر مشروع خطير يمس مباشرة تاريخ مصر في العصور الوسطى أواخر الدولة الفاطمية [١].

هذه الاتفاقية لم تنفد إذ لم يشأ الملك عموري أن ينتظر فراغ الإمبراطور البيزنطي من انشغاله في البلقان [٢]، وانفرد بالهجوم على مصر [٣]، واستولى على بلبيس لأنها لها أهمية استراتيجية بوصفها المدخل الشرقي للقاهرة والفسطاط، وكذلك دورها في حركة التجارة من القاهرة إلى الشام مرورًا بشرق الدلتا [٤]، وللضغط السياسي بها على الخلافة الفاطمية ، وقد أحدث بها الصليبيون مذبحة مروعة [٥]، عندها أسرع شاور إلى تحصين القاهرة وعمل على إخلاء الفسطاط، وإحراقها حتى لا تقع في قبضة الفرنج [٦]، ثم أرسل في طلب النجدة من نور الدين ، كما أخذ الخليفة الفاطمي العاضد ، بإرسل شعر سيدات البلاط الفاطمي ليثير حمية نور الدين من أجل الدفاع عن الحرمات التي باتت مهددة بالانتهاك[٧].

ففي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م خرج أسد الدين شيركوه إلى مصر وصحبه صلاح الدين الأيوبي أيضًا ، فوصل القاهرة بعد شهر تقريبًا ، ورحب به الأهالي والتفوا حوله طالبين حمايتهم من الصليبيين [٨].

---

[١] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٩٢٦–٩٢٧ .

[٢] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٨٧ .

[٣] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص

[٤] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٩٧ .

[٥] – وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص .

[٦] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٤٣٢ .

[٧] – علي حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٨ .

[٨] – وليم الصوري ، تاريخ الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٩٣٣ .

في حين لم يستطع شاور فعل أي شيء ، وأخفق عموري في هذه المرة في الاعتماد على حليف ، لأن الجميع اتحدوا ضده ، فلم يجد إلاّ الانسحاب من مصر عائدًا إلى فلسطين [١].

أما شيركوه فقد فرح به أهل مصر ، واستقبل استقبال البطل المخلص في جهاده من أجل أمته العربية والإسلام ، وعسكرت قواته على باب القاهرة ، فاستدعاه الخليفة العاضد إليه ، وخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه بالمنصور ، وأخذ أرباب البلاد يترددون على خدمته لقضاء حوائجهم في كل يوم [٢]، مما دفع شاور إلى الخوف منه ، فأرسل إلى الصليبيين يستدعيهم لنجدته ، ويطلب منهم الحضور إلى مصر عن طريق دمياط• ، وأخذ يماطل شيركوه للوفاء بالتزاماته ، لكي يكسب الوقت حتى يصل الصليبيون إليه [٣]، كما دبر مؤامرة للقبض على شيركوه وأمرائه أثناء وليمة يدعوهم إليها ، فتشاور في أمره مع ابنه الكامل ولكنه عارضه في ذلك [٤]، وقد أحس شيركوه بالخطر الذي يتهددهم من قبل شاور ، فقرر صلاح الدين قتله حيث وثب عليه هو ورفاقه وطرحوه أرضًا ، ثم قبضوا عليه ، فأمر الخليفة العاضد بقطع رأسه ، فقتل سنة ٥٦٤هـ ـ ١١٦٩م [٥].

---

[١] – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٦٠ .

[٢] – سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥٥٣ .

[•] – دمياط : مدينة قديمة بين تنيسّ ومصر " يقصد بمصر القاهرة " . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٧٢.

[٣] – أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٣٣٨ .

[٤] – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٤٠ .

[٥] – على حسين الشطشاط ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١٣٩ .

ثم أصدر الخليفة مرسومًا يسند فيه الوزارة إلى أسد الدين شيركوه ، لكنه ما لبث أن توفي بعد شهرين من السنة نفسها ، فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين ولقب بالناصر [١].

وهكذا ضم نور الدين مصر واستكمل الطوق حول مملكة بيت المقدس ، وتحدد حجمها نهائيًا ، كما سيطر نور الدين وقائده صلاح الدين على القواعد البحرية شمالي مصر مثل الإسكندرية ودمياط وغيرها من مواني الدلتا الذي كان من شأنها أن تسلب الفرنج سيادتهم البحرية [٢]، وأصبحت مصر جزءًا من الدولة النورية الكبيرة التي أصبحت تمتد من الفرات إلى النيل [٣].

---

[١] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١٦٠ .

[٢] – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣١٩ .

[٣] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٢٩١ .

الفصـل الرابــع

التعبئة الثـقافيـة ضـد الغزو الصليبـي

المبحث الأول : دور المؤسسات الدينية في التعبئة الثقافية

المبحث الثاني : مظاهر التعبئة الثقافية

المبحث الأول
دور المؤسســـات الدينيـــة في التعبئة الثقافـية

أولاً : دور نور الدين في الإعداد للتعبئة.

ثانيًا : أشهر العلماء والقضاء المساهمين في التعبئة .

أولاً : دور نور الدين في الإعــداد للتعبئة :

كان نور الدين محمود يعظم العلماء ويحترمهم ويقدّرهم ، وكان يجمعهم عند البحث والنظر [١]، وكان يمنحهم بسخاء مقدرًا أن هذه الفئة الممتازة يجب أن تظل عزيزة الجانب [٢]، وهذا الاهتمام جعل العلماء يقصدونه من البلاد البعيدة مثل خراسان وغيرها ، وقد أتوا إليه من كل المذاهب ، وهذا يدل على أنه ليس عنده تعصب مذهبي ، وأن الإنصاف سجيته في كل شيء [٣].

أدرك علماء الدين جيدًا تخبط المسلمين آنذاك في مهمة الجهاد ضد الصليبيين الذين أدركوا مدى ضعف العالم الإسلامي والمسلمين والتشرذم والتجزئة التي هم عليها تلك النقاط استغلها الغزاة لتحقيق أهدافهم في المشرق الإسلامي[٤]، ولقد وجد الفقهاء والعلماء فرصتهم السانحة لتوعية المسلمين في الدعوة إلى الجهاد من خلال مؤلفاتهم وأشعارهم ومواعظهم الدينية ، وفعلاً حصلوا على المردود الإيجابي في توحيد الجبهة الإسلامية وتوحيد صفوف المسلمين على قيادة واحدة قادرة على حمل راية الجهاد ضد الغزاة ، ولهذا وقف نور الدين مع العلماء يشجعهم ويحرضهم على التصدي للغزاة ، واستند عليهم في صراعه الطويل من خلال الكتابة والتأليف والتحريض الشفوي [٥]، وبفضل سياسة نور الدين ومنهجه توحدت

---

(١) – تبريزي ، عليا ديب ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص١٩٦ .

(٢) – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٤٠ .

(٣) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦٥ .

(٤) – خليفة ، جمال محمد سالم ، محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي ، موقف فقهاء الشام وقضاتها من الغزو الصليبي (٤٩٢–٦٦٠هـ / ١٠٩٨–١٢٦٢م) ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص٩٨–٩٩ .

(٥) – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٢١–٢٢ .

السلطتان الدينية والعسكرية من أجل وحدة الصف الإسلامي في مواجهة الخطر [١].

ومن جانب آخر وسّع نور الدين نطاق الخدمات العلمية ، ومنح الضمانات الكافية للمدرسين والدارسين على السواء ، ومكّن العلماء بما خصصه لهم من أعطيات [٢]، فأصبحت حلب ثم دمشق هدف الشيوخ والعلماء والدارسين ، بعد أن هيأ لهم الأرضية المناسبة للعمل ، فمنحهم المال لأغراض البحث والدراسة ، وبنا لهم المؤسسات اللازمة لتطوير إبداعهم العلمي ، كما كاتب نور الدين العلماء في شتى البلاد البعيدة والقريبة ، يستقدمهم إليه وأحاطهم بكرمه وإحسانه[٣]، ومن أبرز العلماء الذين توافدوا على بلاد الشام :

١. **الحسن بن أبي الحسن صافي مولى الأرموي البغدادي** : ولد ببغداد سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م قرأ النحو وأصول الفقه على عدد من الأساتذة ثم دخل الشام واستوطن دمشق ، وله ديوان شعر ومدائح في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاش في ظل نور الدين إلى أن مات [٤].
٢. **شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح محمد بن حموية** : وفد إلى الشام سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م كان كبير الشأن في ميدان التصوّف ، فأقبل عليه نور الدين ورغبه في المقام بالشام ، وأحسن إليه ، وأمر بإصدار منشور يعيّن فيه عماد الدين في مشيخة صوفية الشام [٥].

---

(١) – خليفة ، جمال محمد سالم ، محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي ، ص١٠٧ .

(٢) – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٨١ .

(٣) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ض٢٨٣ .

(٤) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٩٥ .

(٥) – العماد الأصفهاني ، البرق الشامي ، ص١٣٥ .

٣.**على بن سليمان الأندلسي القرطبي** :غادر الأندلس سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م ، ورحل إلى بغداد وخراسان تفقه على الإمام محمد بن يحيى صاحب الغزالي وجماعة آخرين ، ثم قدم إلى دمشق والتقى بابن عساكر وزامله هناك ، وندب للتدريس في مدينة حماة تم انتقل إلى مدينة حلب ، وتوفي في حلب في أواخر سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م [١].

٤.**مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جهبل** : كان عالمًا زاهدًا ، فاضلاً في الفقه والحساب والفرائض ، سمع الحديث على أكثر من عالم ، حدّث وصنف لنور الدين كتابًا في فضل الجهاد ، ودرّس في مدينة حلب بالمدرسة النورية ، وكان من كبار الفقهاء الشافعية توفى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م [٢].

٥.**الوجيه أسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل** : ولد سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م رحل إلى بغداد وتفقه بها ، وبرع في المذهب الحنبلي ، ودرّس في مدارسها ، ثم ولي قضاء مدينة حران في آخر عهد نور الدين وله تصانيف منها (الكفاية في شرح الهداية) في بضع عشر مجلدًا وقد توفي سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م [٣].

هذا بالإضافة إلى العديد من العلماء والفقهاء الدين كان لهم الدور الفعال في إثارة الشعور الديني والعلمي الفياض للجهاد ضد الغزاة نتيجة للاهتمام الذي أولاه نور الدين محمود لهذه الفئة .

---

(١) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥١ .

(٢) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥١ .

(٣) – عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج٢ ، ص١١٤-١١٥ .

ثانيًا : أشهر العلماء والقضاة المساهمين في التعبئة :

لم يكن دور الفقهاء والقضاة والعلماء في بلاد الشام منحصرًا في طلب النجدة ومد يد العون والمساعدة ، ولكنَّ لهم دورًا آخر وذلك من خلال الكتابة والتأليف وتهيئة الأجواء الفكرية والثقافية ، لتثقيف المسلمين عامة ، في الوقت الذي أصبحت فيه الحاجة ماسة إلى الثقافة في تلك الآونة حيث كانت البلاد تخوض صراعًا سياسيًا وعسكريًا ، والخلافة العباسية عاجزة وكذلك الخلافة الفاطمية في مصر عن مقاومة وصد الصليبيين عن البلاد[١]، فساهمت هذه الفئة في تنوير المجتمعات ، جاء ذلك عبر مؤلفاتهم وكتبهم ، وجاء ذلك من خلال مجموعتين الأولى ركزت على التأليف والوعظ بصورة تقليدية توضح أمور وأركان الدين الحنيف للناس ، والثانية توجهت إلى التحريض والتأليف في الجهاد وحث المسلمين عليه [٢]. ومن هؤلاء هم :

أ. ابن عساكر الدمشقي ٤٩٩ . ٥٧١ هـ / ١١٠٥ . ١١٧٦م :

الشيخ الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن هبة الله بن عساكر الشافعي ، سمع الحديث وعمره ست سنوات ، ثم طلبه بنفسه ورحل إلى العراق وأصفهان وخراسان ، وأخذ من شيوخه الذين تعلم منهم الحديث ، حتى أصبح إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائه [٣].

أخذ هذا الفقيه فكرة الدعوة للجهاد ضد الصليبيين من الفقهاء والعلماء الدين سبقوه في هذه الدعوة ، فسار على نهجهم ، فألف كتاب :(الأربعون حديثًا في الحث على

---

(١) – جمال محمد سالم خليفة ، محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي، ص٩١.

(٢) – على محمد كرد ، خطط الشام ، ج٦ ، ص٧٦ .

(٣) – ابن عساكر ، أبو القاسم الحافظ بن الحسن هبة الله ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق وتهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج١٢ ، ص٤٣٤ .

الجهاد)[١]، عندها ظهرت شخصية هذا الفقيه إلى جانب نور الدين محمود في معاضدته على الوحدة والجهاد ، وكذلك تثقيف الناس ليقفوا بجانب نور الدين محمود ضد الخطر الصليبي ، وأيضًا بسبب قناعة زنكي بأن الأعمال السياسية والعسكرية ربما لم تنجح ، إلاّ بعد اعتماده على الوحدة الدينية [٢].

وإلى جانب علم الحديث هناك مؤلفات أخرى لابن عساكر دعا فيها المسلمين إلى استعادة المدن الإسلامية والدفاع عنها . من هذه المؤلفات فضائل المدن الإسلامية وفضائل القدس ، يذكر فيها المسلمين بدور تلك المدن في التاريخ الإسلامي التي لابد من التشبث والتمسك بها والدفاع عنها [٣]، ونجح ابن عساكر في وضع أفكاره وآرائه في خدمة السلطة العسكرية ودعوتها إلى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف ، وإصلاح أمر المسلمين في بذل المال والنفس لجهاد الغزو الصليبي ، كما كان له أثر كبير في نفوس الناس وذلك من خلال إلقاء الشعر الحماسي في الحث والتحريض على القتال وتطهير الأرض العربية ، والقدس من دنس الغزاة ومن أهم ما قال في شعره [٤].

فأحزم الناس من قوى عزيمته ... حتى ينال بها العالي من الرتب
وطهر المسجد الأقصى وحوزته ... من النجاسات والإشراك والصلب

---

(١) – السبكي ، تاج الدين ، طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت، ص٢٧٣.

(٢) – أبو شامة ، الروضتين ، ص٢٣ .

(٣) – حاجي ، خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ، بيروت ، د.ت ، ج٢ ، ص٣٩٩ .

(٤) – الهرفي ، محمد على ، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة ٣ ، ١٩٨٠ ، ص١٤٧ .

ب. أبو المحاسن بن شداد ٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ / ١١٤٥ـ١٢٣٨م :

هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الشافعي ، درس في الموصل حيث تلقى علومه من علماء وشيوخ هذه المدينة فقرأ القران الكريم ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، والأدب ، ثم شاء القدر بأن يرحل إلى بغداد لمدة أربع سنوات فتخرج من المدرسة النظامية مدرسًا [١]، وعاد مرة أخرى إلى موطنه الأصلي ، فانتفع منه جماعة كبيرة من طلاب العلم ، فارتفعت مكانته بين السكان ، لما اشتهر به من الاتزان في التفكير والحكمة ، حتى أوكل له أمير الموصل عز الدين البرسقي العديد من المهام الرسمية في هذه الإمارة [٢].

وكان أبو المحاسن كثير الحرص على طرح آرائه وأفكاره في التأكيد على الجهاد ، ومواجهة الغزو الصليبي ، فكان القدوة الحسنة والمثلى في حركة الجهاد، وتحريض الناس على ذلك ، وتعبئة الجيوش الإسلامية فكريًا لمواجهة الغزو[٣].

ج. الفقيه عماد الدين الأصفهاني ٥١٩-٥٩٧هـ/١١٢٥-١٢٠١م :

هو محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أبو عبد الله الأصفهاني [٤]، ولد في أصبهان ، ودرس ببغداد وتفقه بها ، وله العديد من الكتب منها الفتح القسي في الفتح القدسي ، وأخبار الدولة السلجوقية ، والبرق الشامي ، دخل في خدمة نور الدين وصار رئيس ديوان الإنشاء ، وكاتب السر ، فنشئ الوثائق الرسمية لنور الدين ، ولهذا الفقيه دور كبير في تحريض المسلمين على الجهاد

---

(١) – الزركلي ، خير الدين ، الإعلام ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج٩ ، ص٣٠٦ .

(٢) – جمال محمد سالم خليفة ، محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي، ص١١١ .

(٣) – نفسه ، ص١١٤ .

(٤) – عليا ديب تبريري ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٤٤ .

وشحذ الهمم نحو طرد الفرنج من بيت المقدس والأرض الإسلامية (١)، ومن أهم قصائده التي تعرض فيها للتحريض على الجهاد :

فانهض إلى البيت المقدس غازيا ... وعلى طرابلس ونابلس عُجِ

قد سرت في الإسلام أحسن سيرة ... مع ثورة وسلكت أوضح منهج(٢)

وظل عماد الدين الأصفهاني يشعر نور الدين بمكانته العالية ، وقدرته الفائقة في غزو الفرنج ، فعندما فتح نور الدين مصر عام ٥٦٤هـ/١٢٦٨م هنأه بذلك الفتح (٣)، لكنه كعادته استمر في التحريض المباشر وشحذ الهمم نحو طرد الصليبيين من بيت المقدس ، وخاصة عندما أصبح يملك الشام ومصر ، وقال في شعره :

بملك مصر أهنئ مالك الأمم .. فأسعد وأبشر بنصر الله عن أمم

أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم .. وأحطم جموعهم بالذابل الحطم

وطهر القدس من رجس الصليب وثب .. على البغات وثوب الأجدل القطم(٤)

د. أسامة بن منقد ٤٨٨ . ٥٨٤هـ / ١٠٩٥ . ١١٨٨م :

هو أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد الشيزري الكناني الكلبي (٥)، وهو من أفراد السلطة السياسية الحاكمة لمدينة شيزر ، له العديد من الكتب منها [الاعتبار]، وله ديوان شعر ذكر فيه نور الدين والمعارك التي عاصرها، لأنه عاصر الغزو الصليبي لبلاد الشام ، أيام حكم نور الدين ، شارك نور

---

(١) – العماد الأصفهاني ، البرق الشامي ، ص٣٦ .

(٢) – أبو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص١٥٠ .

(٣) – جمال محمد سالم خليفة ، محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي، ص١٤٢ .

(٤) – محمد على الهرفي ، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، ص١٤٧ .

(٥) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٤٢ .

الدين في حصار قلعة حارم سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١م ، كما شارك بن منقد مشاركة فعلية في الجهاد ضد الغزو الصليبي ، وكان له الدور الفعال في تحريض الناس وزيادة لحماستهم الجهادية ضد الغزو الفرنجي [١].

نلاحظ أن الفقهاء والعلماء كان لهم الدور الأكبر في شحد الهمم ، وجمع الشمل وتحريض الناس ، من أجل طرد الغزاة الصليبيين ، ومنهم من شارك مشاركة فعلية في الجهاد ، والدخول في ساحة المعركة والقتال المباشر ، حتى يبرهنوا للمسلمين بأن القتال فرض عين على كل مسلم ، دون تمييز بين فقيه وعالم ، وقاضٍ ، وجندي ، ورجل عامة ، وذلك من أجل النهوض جميعًا في الدفاع عن حرماتهم المنتهكة ، التي استباحها الصليبيون ، وفعلاً هذه الفئة نجحت في التحريض المسلمين وتحالفت مع السلطة العسكرية والسياسية في هذه البلاد لمواجهة ، وطرد الفرنج من على هذه الأراضي .

---

[١] – ابن الأثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٥ .

المبحث الثاني
مظاهر التعبئة الثقافية

أولاً : المدارس والمساجد .

ثانيًا : الخانات والبيمارستانات ودور العدل .

أولاً : المـــدارس والمـساجـد :

١. المـــدارس :

اهتم نور الدين بالمدارس اهتمامًا كبيرًا على الرغم من ظروف المواجهة والتصدي للغزو الصليبي ، وتحقيق الإنجازات السياسية والعسكرية ، المتمثلة في وحدة الشام ومصر والجزيرة الفراتية ، بقيادته حقق انتصارات عظيمة على الصليبيين (١)، ولكن لم تقتصر جهوده على ذلك فقط ، بل انطلق في تحقيق مشاريعه الواسعة ومطامحه التي لا يتوقف عن دعمها والإشراف عليها (٢)، لكي ينهض ببلاده إلى مستوى مرموق في شتى الميادين العلمية ، منها إنشاء المدارس العلمية التعليمية في كل مكان في دولته الواسعة المترامية الأطراف ، والتي أصبحت مراكز تنتشل الناس من الجهل والأمية إلى النور والمعرفة العقلية والعلمية (٣)، وشهدت البلاد نشاطًا علميًا وثقافيًا واسعًا ، إذ شرع في تجديد المدارس بحلب ، وجلب أهل العلم والفقهاء إليها (٤)، ومن أهم المدارس :

أ. المدرسة الحلاوية• سنة ٥٤٣هـ . ١١٤٨م (٥):

وهي من أكبر المدارس وأكثرها طلبة (٦)، اهتم بها نور الدين واستدعى برهان الدين أبا الحسن على بن الحسن البلخي الحنفي ، وولآه التدريس فيها ، وهذا العالم أخذ العلم من العديد من البلدان منها الحجاز وبغداد وبلاد ما وراء النهر، وعاد

---

(١) – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٧ .

(٢) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧١ .

(٣) – عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص١٧ .

(٤) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين زنكي ، ص١٩٨ .

(•) – تقع هذه المدرسة قبالة الجامع الأموي بحلب ، وكانت تعرف قديمًا بمدرسة السراجين . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ص٦٥٩ .

(٥) – ابن العديم ، زبدة الطلب في تاريخ حلب ، ص٦٥٩ .

(٦) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٢ .

إلى دمشق سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م ، وجلس للوعظ [١]، وتميز هذا العام بالصدق في كلماته ، وحُسن أسلوبه مما لقيا قبولاً حسنًا في قلوب الناس ، تتلمذ عليه الكثير من الطلبة [٢]، فعندما أصبح برهان الدين المسؤول عن هذه المدرسة استدعى الفقيه برهان الدين أبا العباس أحمد السلفي من دمشق ، ليكون نائبًا عنه فيها ، وبقي الأخير في هذه المدرسة إلى أن توفى عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م[٣]، وحل محله عبد الرحمن بن محمد الغزنوي ، حتى توفى عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م ثم تعاقب على المدرسة المدرسون القادمون من جهات شتى ، فتتلمذ على هؤلاء الفقهاء العديد من طلاب العلم في شتى المجالات العلمية [٤].

ب. المدرسة العصرونية في حلب ٥٥٠هـ. ١١٥٥م :

بعد أن استكمل نور الدين بناءها استدعى الشيخ الأمام شرف الدين ابن أبي عصرون [٥]، فأراد نور الدين الإفادة من كفاءة هذا الفقيه ، وفوض له الأمر بأن يتولى التدريس فيها فوافق هذا وتتلمذ عليه الكثير من طلبة العلم ، وبقي ابن عصرون يتولى مهام التدريس إلى أن غادر حلب إلى دمشق سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م [٦].

---

(١) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢١٩-٢٢٠ .

(٢) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٦٥٧ .

(٣) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢١٩ .

(٤) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٢٩٣.

(٥) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٩٨ .

(٦) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٢٩٣-٢٩٤ .

ج. المدرسة النفرية ٥٤٤ هـ / ١١٤٩م :

تم بناء هذه المدرسة في حلب عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، واستعدى الفقيه قطب الدين مسعود النيسابوري للتدريس فيها ، فكان هذا الفقيه نشاطًا علميًا في نيسابور ومرو[١]، سمع الحديث على عدد من الشيوخ ، وقرأ القرآن الكريم والأدب على يد والده[٢]، كما تلقى تعليمه على كبار الفقهاء والعلماء منهم أبو نصر القشيري[٣]، وشاء له القدر أن يسافر إلى بغداد ، ومارس مهنة التعليم، ودّرس الوعظ ، ثم غادر إلى دمشق عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، ودّرس في مدارسها، ووعظ في مساجدها ، فأقبل طلاب العلم والناس عليه للاستفادة من تعاليمه الفقهية [٤]، ثم بعد ذلك استدعى إلى حلب ودّرس في المدرسة النفرية دّرس علم الدين وأصوله وتتلمذ عليه العديد من الطلاب [٥].

وفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م أرسل نور الدين إلى قطب الدين بالعودة إلى دمشق للتدريس هناك ، فدّرس في زاوية الشافعية ، فاجتمع عليه العديد من طلاب العلم للاستفادة من فقهه وثقافته الدينية [٦].

د. المدرسة النورية الكبرى ٥٦٧هـ / ١١٧٢م [٧]:

وتعتبر من أشهر مدارس دمشق ، وأوقف عليها نور الدين الأوقاف الواسعة ، واعتمد نور الدين في مهام الإدارة والتدريس على القاضي كمال الدين الشهرزوري

---

(١) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٧ .

(٢) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٢٩٣ .

(٣) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٩٨ .

(٤) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٧ .

(٥) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٩٤ .

(٦) – الاصفهاني ، سنا البرق الشامي ، ص١٣٤ .

(٧) – المنجد ، صلاح الدين ، خطط الشام ،" نصوص ودراسات "، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص٦٣ .

، فدّرس أصول الدين والقرآن وعلم الحديث وتتلمذ عليه طلاب العلم الذين أتوا من مختلف مدن الشام المختلفة ، وكذلك من بقية مدن البلاد الإسلامية [١] ينظر الملحق رقم (١) .

هـ. المدرسة النورية الصغرى ٥٦٠هـ/١١٦٤م :

وهي واحدة من المدارس التي أوقف عليها السلطان نور الدين محمود الأوقاف[٢]، واهتم بها وأرسل إلى العلماء والفقهاء للتدريس في هذه المدرسة[٣]، منهم الفقيه قطب الدين النسابوري ، الذي اجتمع طلبة العلم عليه [٤]، ودّرس القرآن، والحديث ، والفقه ، وكان لهؤلاء الفقهاء الدور الكبير في تعليم طلبة العلم، وإلقاء المحاضرات الدينية التي تهم الناس في قضاياهم الحياتية [٥].

و. المدرسة العادلية الكبرى ٥٦٨هـ/١١٧٣م [٦]:

أول من أنشأها نور الدين محمود ، وتوفى قبل أن يستكمل بناءها فاستمرت تم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين [٧].

---

[١] – النعيمي ، عبد القادر ، الدارس في تاريخ المدارس ، ص٦٠٧ .

[٢] – ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي ، الإعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، قسم حلب ، تحقيق يحيى عبارة ، وسامي الدهان ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٨ ، ص١٠٠ .

[٣] – عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ص١٥٣ .

[٤] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٣ .

[٥] – ابن شداد ، الإعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ص١٠٠ .

[٦] – عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ص١٥٣ .

[٧] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٦ .

ز. دار الحديث النورية ٥٦٦هـ/١١٧١م [١]:

تقع هذه الدار مقابلة المدرسة العادية ، بناها نور الدين محمود ، للمحدث الكبير مؤرخ دمشق ، الحافظ بن عساكر ، وهي أول مدرسة بنيت لتعليم الحديث [٢].

ولم يكن الحافظ بن عساكر هو الوحيد في إلقاء علم الحديث ، بل هناك العديد من الفقهاء ، منهم زين الدين النابلسي ، وتاج الدين الفركاح ، وأمين الدين ابن عساكر وغيرهم من العلماء والفقهاء [٣].

لقد شيدت هذه المدارس في بلاد الشام ، واستقدم العلماء من أنحاء المشرق الإسلامي للتدريس في تلك المنشآت ، فدّرسوا شتى العلوم الدينية [٤].

فالدولة النورية أنفقت بسخاء على هذه المؤسسات ، هذا ما شجع الفقهاء للمجيء للبلاد الشامية ، لغرض التدريس ، كما شجع الطلاب العلم من كافة البلدان الإسلامية لطلب العلم في هذه المدارس [٥].

وإلى جانب الدور الذي قامت به هذه المدارس في تعليم التلاميذ في العلوم الدينية ، كانت أيضًا لها الدور الكبير في تعبئة الطلاب وعامة الناس على فكرة الجهاد الإسلامي ومحاربة الغزاة الصليبيين[٦]، إلى جانب التدريس كان الفقهاء يلقون المحاضرات يحثون الناس على الوحدة والوقوف صفًا واحدًا ضد الفرنج وطردهم من هذه البلاد المقدسة ، وحثهم بأن الجهاد فرض على كل مسلم وفعلاً نجحت هذه المؤسسات في تعبئة الناس كافة على الجهاد [٧].

---

(١) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧٢ .

(٢) – صلاح الدين المنجد ، خطط دمشق ، ص٦٢ .

(٣) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٠ .

(٤) – ابن شداد ، الإعلاق الخطير ، ص١١٠ .

(٥) – ابن تغري بردي ، الكواكب الذرية ، ج٦ ، ص٧٩ .

(٦) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٠ .

(٧) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥٣ .

٢. **المساجد** :

أ. الجامع الكبير ، ٥٦٦هـ ١١٧٠م :

قرر نور الدين بناء هذا الجامع في الموصل ، ليكون مسجدًا للمصلين ، ومدرسة للدارسين [١]، فتولى الإشراف على هذا المسجد عمر الملاء ، واشترى هذا المشرف الأملاك المحيطة به من أصحابها بأوفر الأثمان ، من أجل توسيعه ، كما أنفقت الأموال الكثيرة على هذا الجامع ، وتم افتتاحه سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م[٢] فتحه نور الدين [٣]، ومنذ ذلك الوقت والجامع يقدم خدماته الواسعة في ميادين العبادة والتعليم على السواء [٤].

ب. الجامع الأموي :

يعدّ هذا المسجد من أفخم المساجد الإسلامية التي بنيت في عهد الدولة الأموية ، وقد بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ/٧٠٥م ، وأنفقت الدولة مبالغ طائلة لتزيين المسجد من الداخل والخارج حتى أصبح وكأنه إحدى عجائب الدنيا في ذلك العصر [٥]، وبمرور الزمن اعتنى نور الدين زنكي بهذا المسجد ، وجلب إليه المدرسين لتدريس الطلبة ، وأوقف عليه الأوقاف [٦]، فكان المدرسون يتقاضون على مهنتهم أعطيات ومخصصات كبيرة [٧]، ومن أهم الفقهاء الذين دّرسوا في هذا المسجد كمال الدين الشهرزوي ، وهو من خيار الفقهاء والقضاة ، كان يجلس في

---

(١) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٣ .

(٢) – ابن قاضي شهية ، الكواكب الذرية ، ص٣٦ .

(٣) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج١٠ ، ص٢٤٩ .

(٤) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٠٦ .

(٥) – طماس ، حمدو ، أهم الأحداث التاريخية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص٥٠ .

(٦) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٥٩ .

(٧) – ابن قاضي شهية ، الكواكب الذرية ، ص١٥٩ .

الجامع بعد صلاة الجمعة لإعطاء المواعظ الدينية التي تهم قضايا الناس ، إلى جانب مهمته في التدريس [١].

وإلى جانب هذه المساجد ، هناك مسجد الرماحين ، ومسجد دار البطيخ[٢] وقد بلغت في عهد نور الدين نحو مائة جامع[٣]، فكل هذه العمائر الدينية كان لها دورها الهام في تعبئة الناس وإثارة الشعور الديني ، وإيجاد صحوة دينية ساعدت بدورها في تدعيم المواجهة الفكرية مع الصليبيين[٤]، وقد أمكنها القيام بإعداد جبهة واحدة متماسكة عقائديًا ، وفكريًا في الجهاد الإسلامي ضد الغزاة الفرنج[٥].

ثانيًا : **الخانات والبيمارستانات ودور العدل** :

١. **الخانات** :

يطلق عليها الخوانق أو الخانات• [٦]، بناها نور الدين في دمشق وهي قصور مزخرفة يطّرد في جميعها الماء [٧]، فأوقف نور الدين عليها الوقوف الكثيرة ، وأدّر عليها الإدرارات الصالحة ، وذلك من أجل أمن وسلامة الناس ، وحفظ أموالهم ، فأصبحت الطرق ، والمدن تعج بالخانات [٨].

---

١ – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٥٣٨ .

٢ – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٢ .

٣ – أبو شامة ، الروضتين ، ص٤١ .

٤ – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٢ .

٥ – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٧٦ .

(•) – الخانات أماكن لراحة المسافرين مع رواحلهم " فنادق ". عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس ، نور الدين محمود زنكي ، ص٢٧٨ .

(٦) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٤٤ .

(٧) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٦ .

(٨) – صلاح الدين المنجد ، خطط دمشق ، ص٦١ .

٢. **البيمارستانات** :

كلمة البيمارستان مشتقة من كلمتين فارسيتين الأولى بيمار وتعني مريض والثانية ستان وتعني مكان ، وربما دل ذلك على أن البيمارستان العربي هو ذو أصل فارسي ، ولكن يقال عندما فتح العرب بلاد فارس حوالي عام ٦٤٠م كان البيمارستان مشفى جند يسابور ، يغص بالأطباء الماهرين وله وصفاته الطبية الخاصة[١]، فالبيمارستانات هي المستشفيات التي يلجأ إليها المرضى للعلاج ، ولقد اهتم نور الدين محمود بالبيمارستانات اهتمامًا كبيرًا وتوسع فيها حتى لم يخل بلد من بلاده من مستشفى[٢]، وأدخل عليها نظامًا يدل على أنه لم يكن في هذه الناحية مجرد سائر على الدرب ، بل مصلحًا اجتماعيًا له هدف واضح في الحرص على بلاده[٣].

وقرر نور الدين بناء وتجهيز المستشفيات ، وكان المستشفى العام للفقراء ومن لا تمكنهم أسبابهم من الاستعانة بالأطباء أو الحصول على الدواء ، كما استثنى الدواء النادر أو الذي يحتاج تحضيره إلى عناية ، وأباح للأغنياء الحصول عليه من المستشفى [٤]، ومن أشهر البيمارستانات البيمارستان النوري في دمشق وهو مستشفى نموذجي بناه نور الدين ، واجتمع فيه عدد كبير من الأطباء ، وأوقف عليها الأوقاف الوفيرة مما شجع مجموعة من مشاهير الأطباء على القدوم إلى المدينة [٥]، وهذا البيمارستان بناه السلطان نور الدين سنة ٥٤٩هـ . ١١٥٤م من مال ما أفاءه الله عليه ، واشترط في وقفه أن يكون مخصصًا

---

(١) – شاهين محمود ، فلسطين أرض وحضارة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس . ليبيا، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص١٣٢ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٧ .

(٣) – صلاح الدين المنجد ، خطط دمشق ، ص٩ .

(٤) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٧ .

(٥) – عماد الدين غانم ، المدرسة الطبية الدمشقية إحدى مظاهر السياسة الثقافية خلال الفترة الزنكية الأيوبية، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الأول ، ١٩٨٥ ، ص١٥٤ .

للفقراء والمساكين ، كما لا يمنع منه الأغنياء[١]، وهو مقسم على أجنحة للرجال وأجنحة للنساء وكذلك للأطفال وأخرى خاصة بالأمراض العقلية ، وغيرها ، وكان يدير المستشفى أطباء مختصون يرأسهم طبيب ، وكان طلبة الطب يزورون المرضى مع أستاذهم كما يفعل طلاب الطب [٢].

بحيث كان يهئ الفرصة للتطبيق العملي ، إضافة إلى الدراسة النظرية[٣]، وأوقف نور الدين جملة كبيرة من الكتب الطبية وكانت الأوقاف أو الدولة تمول هذا المستشفى [٤]، ينظر الملحق رقم (٣) .

وكان هناك عدد من المدارس الطبية التي بنيت في بلاد الشام ، تدرس الطب واجتمع عليها طلاب العلم وتوافد عليها المدرسون في هذا المجال وكانت الدولة تنفق على هذه المدارس ، كما أوقف نور الدين على المكتبة الملحقة بها هذه التي كانت تجمع جملة من الكتب الطبية المتخصصة يجتمع فيها الأطباء والطلاب المنشغلون بالعلم [٥].

لقد شهد الطب في هذه الفترة نهضة كبيرة ، فالأطباء وصلوا إلى مستوى ابن سيناء وغيره من مشاهير الأطباء المسلمين السابقين [٦]، والمؤلفات التي ألفت في هذا المجال ارتبط أغلبها بشروح لمؤلفات مشاهير الأطباء اليونان مثل أبقراط وجالينوس وغيرهم ، هذا التوسع أدى إليه الاهتمام الكبير بالناحية الطبية

---

[١] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٧ .

[٢] – محمد شاهين ، فلسطين أرض وحضارة ، ص١٣٣ .

[٣] – عماد الدين غانم ، المدرسة الطبي الدمشقية ، ص١٥٦ .

[٤] – نفسه ، ص١٥٥-١٥٦ .

[٥] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٥١ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٨٢-٢٨٣ .

(١). وإلى جانب البيمارستان النوري هناك بيمرستانات أخرى مثل بيمارستان دمشق هو ثاني ما بناه نور الدين والبيمارستان الدقاقي وغيرها ، وهذه البيمارستانات فيها زخارف منوعة على الحجر وعلى الخشب وعلى النحاس ، ونوافذ من الجص المحفور بأشكال هندسية ، وفيها زخارف ملونة (٢).

ومن أهم مشاهير الأطباء :

١. الطبيب محمد بن عبد الله بن المظفر الباهلي أول أطباء المشفى كان يمر على المرضى لمعالجتهم ، ويلاحظ أحوالهم ، وبين يديه المشرفون وخدام المرضى ، وكان يكتب لهم ما يناسبهم ، فيؤتى لهم به في الحال ، وكان يلقى دروس الطب على الأطباء والصيادلة ، ويقرأ الطلاب وتطرح المسائل الطبية (٣)، فلا يزال معهم بين مناقشة ودراسة وقراءة مدة ثلاث ساعات كل يوم ويغادر بعدها إلى داره ، وتوفى الباهلي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بعد نور الدين محمود بسنة واحدة (٤).

٢. الطبيب رضى الدين الرحبي أبو الحجاج يوسف بن حيدرة من الأكابر في صناعة الطب ، كان شديد الاجتهاد في مداواة المرضى ، فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان ، ويستوصف منه المرضى أوراقًا يعتمدون عليها ويأخذون بها الأشربة والأدوية التي يصفها (٥)، وكانت له

---

(١) – ابن أبي اصبيعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص١٧٥ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ٢٠٧ .

(٣) – ابن أبي اصبيعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٦٢٨ .

(٤) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥٣ .

(٥) – ابن أبي اصبيعة ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، ص٦٧٢ .

كتب كثيرة [1]، وكان يجتمع من حوله بعض الأطباء للاستفادة منه في كيفية استدلاله على الأمراض [2]، كما تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب من بينهم الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي [3].

٣. موفق الدين عبد العزيز بن أبي محمد السلمي ، عرف بشدة شفقته على المرضى وخصوصًا على من كان منهم ضعيف الحال ، يفتقدهم ويعالجهم ويوصل إليهم النفقة وما يحتاجون إليه من أدوية وأغذية .

٤. على الباس بن المطران ، اشتغل في صناعة الطب وأتقن معرفتها وصار من المتميزين من أربابها ، وكان له مجلس عام للمشتغلين بالطب ، خدم في البيمارستان النوري [4].

٥. مهذب الدين بن الحاجب ، كان طبيبًا مشهورًا متقنًا للطب والعلوم الرياضية وخاصة على الهندسة ، مهتمًا بالأدب والنحو ، اشتغل في صناعة الطب وصار من جملة رجالاته وعمل في بيمارستان نور الدين [5].

---

[1] – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥٤ .

[2] – عماد الدين غانم ، المدرسة الطبية الدمشقية ، ص١٥٦ .

[3] – ابن أبي اصبيعة ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، ص٦٧٦ .

[4] – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥٥-١٥٦ .

[5] – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٥٦ .

نظام العمل فيها :

يباشر المسؤولون عملهم اليومي وفي أيديهم الملزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها من الأدوية والأغذية ، والأطباء يبكرون إليه كل يوم ويتفقدون المرضى ، ويأمرون بإعداد ما يصلحهم[١]، وكان الأطباء يتفقدون مرضاهم كل يوم ، ومعهم المشرفون ليصرفوا الدواء للمرضى [٢].

إن فترة الاستقرار السياسي والظروف الاقتصادية المناسبة والمؤسسات التعليمية العديدة ذات الأوقاف الوفيرة ، ووجود المستشفيات شجع مجموعة من مشاهير الأطباء على القدوم إلى بلاد الشام ، وهذا ما ساعد على تكوين جيل من الأطباء قادرين على القيام بالمهام الطبية التي تستدعيها البلاد واحتاجت لها الدولة أثناء توسعها الخارجي [٣].

فهؤلاء الأطباء والدارسون لهذه المهنة تزايد عددهم في بلاد الشام كما تزايد عدد البيمارستانات التي أدت دورًا أساسيًا في التعليم الطبي ، إلى جانب الغاية التي أنشئ من أجلها وهي معالجة المرضى [٤].

إن اهتمام نور الدين بالصحة العامة ، وخاصة بالفقراء والمساكين من الناس دفعهم إلى الالتفاف حولهُ وتأييد مشاريعه الجهادية في مقاومة الغزاة الصليبيين .

٣. **دور العدل** :

---

[١] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٠٩ .

[٢] – عماد الدين غانم ، نور الدين محمود ، ص١٥٥ .

[٣] – المرجع نفسه ، ص١٥٤ .

[٤] – ابن أبي اصبيعة ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، ص٦١١ .

لقد أنشأ نور الدين مؤسسة دار العدل في دمشق لكي تكون محكمة عليا [١]، ولغرض تهذيب كبار قواده وردهم عن أذى الناس [٢]، وكان يرأسها نور الدين نفسه ، وجعل بابها مفتوحًا للناس جميعًا ، وكان اختصاصها في الغالب النظر في شكاوى الناس من كبار القواد ، ولهذا عندما استقر نور الدين في دمشق أنشأ هذه الدار [٣].

وقد انصرف الأمراء والقواد إلى شراء الدور والعقارات واستخدموا جاههم في الحصول عليها بالأثمان التي يريدونها ، وكان أسد الدين شيركوه من أكثر الناس إسرافًا في ذلك ، فلما نمى ذلك إلى نور الدين أمر بإنشاء دار العدل ، وأعلن أنه سيجلس فيها للفصل في القضايا أقصى فترة ممكنة [٤]، فكان يجلس في الأسبوع اليومين والأربعة والخمسة ، وعنده القضاة والفقهاء ، ويأمر بإزالة الحجَّاب والبوّاب [٥]، ويصل إليه الشيخ الضعيف والعجوز الكبيرة ، ويسأل الفقهاء عن ما أشكل عليه من الأمور الغامضة ، فلا يجري في مجلسه إلاّ حكم الشريعة المطهرة [٦].

وكان ساعده الأيمن في إقامة الشرع قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن المظفر الشهرزوري ، وكان فقيهًا واسع العلم حسن الرأي [٧]، وبلغ عند نور الدين من المكانة ما لم يبلغه غيرة حتى أصبح كأنه وزيره ومشاوره ، فولاه قضاء دمشق سنة ٥٥٥هـ . ١١٦٠م ، ثم ما لبث أن أصبح قاضيًا للقضاة فولى ابنه محي

---

[١] – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص١٠٧ .

[٢] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٨٩ .

[٣] – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦٨ .

[٤] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص٢٣ .

[٥] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٣٣ .

[٦] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٩٠ .

[٧] – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦٨ .

الدين قضاء مدينة حلب ، وأقام اثنين من أبناء إخوته قاضيين على حمص وحماه (١).

أما في الموصل عندما صارت لنور الدين أمر كمشتكين شحنة الموصل أن لا يعمل شيئًا إلاّ بالشرع إذا أمره القاضي ، وأن لا يعمل القاضي والنواب كلهم شيئًا إلا بعد مراجعة الشيخ عُمر الملاَّ (٢)، فكان لا يعمل بالسياسة ولكن عندما كثر الفساد وقطاع الطرق وغير ذلك كتب إلى نور الدين كتابه يعلمه بذلك فكتب نور الدين على ظهرها ، إن الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم ، وأن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال ، ولو علم أن على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعه لنا ، فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى ، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى شرعه ، والعقول المظلمة لا تهتدي ؛ فالله سبحانه يهدينا وإياك إلى الكتاب وإلى صراط مستقيم (٣).

وجمع الشيخ عمر الملاّ أهل الموصل وأقرأهم الكتاب ، وقال انظروا في كتاب الزاهد إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد (٤)، هذا وقد اعتمد نور الدين في أجهزته القضائية رجالاً ثقاة عرف كيف ينتقيهم ، بعد أن رأى فيهم من الفقه الواسع والتقوى العميقة ما يؤهلهم لتسلم منصب القضاة الذي تربع في عهده ، فأصبح القضاء مستقلاً استقلالاً تامًا ، وأصبح حكمه هو الحكم الملزم للجميع بما فيهم السلطان نفسه وكبار أمرائه (٥).

---

(١) – حسن مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٩٩ .

(٢) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧٥ .

(٣) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٩١ .

(٤) – نفسه ، ص١٩٢ .

(٥) – عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص٨٢ .

يتضح من ذلك أن العدل في عهد نور الدين كان له دور كبير في إرساء قواعد النظام في دولته ، فلم يفتح المجال لأحد في أن يتعدى على حقوق أحد مهما بلغت مكانته في الدولة ، وكان يعامل الجميع على أساس العدل دون استثناء لدرجة جلوسه لفترة طويلة في دار العدل في دمشق ليسمع قضايا الناس ويفصل بينهم بالحق ، ففي عصره عم الخير والعدل وهذا ما كان له الدور الأكبر في الاستقرار الذي لازم فترة حكم نور الدين وانعكس بالتالي على نجاح مشاريع نور الدين التعبوية ضد الغاصب المحتل .

الفصـــل الــخامـــس

التعبئة القتالية ضد الغزو الصليبي

المبحث الأول : الخطط التعبوية لمواجهة الغزو الصليبي .

المبحث الثاني : سياســـــة نــور الـــدين الحربيـــة.

المبحث الأول
الخطط التعبوية لمواجهة الغزو الصليبي

أولاً : المنهج التعبـــــوي لنور الدين محمود .

ثانيًا : مبـــــــادئ الحـــــرب .

ثالثًا : الدور الشعبي في مقاومة الغزو الصليبي .

أولاً : المنهج التعبوي لنور الدين محمود:

كان منهج نور الدين التعبوي يرتكز على قاعدتين : الأولى توحيد الجبهة الداخلية والثانية ترسيخ قيم الجهاد في النفوس وقد بدأ نور الدين حياته القيادية في شمال بلاد الشام حيث جعل من مدينة حلب قاعدة له ، وترك حكم المشرق لأخيه، وتم الاتفاق على أن تقوم الموصل بدعم حلب في حربها ضد الفرنج (١)، في الوقت التي كانت فيه دولة الفاطميين تعيش أيامها الأخيرة وقد مزقتها النزاعات على السلطة من أجل الوصول إلى الخلافة ، إضافة إلى الصراع بين الفاطميين في مصر ، والسلاجقة الموالين للخليفة العباسي ، وكانت بلاد الشام مسرحًا لهذا الصراع المرير الذي أفادت منه الحملة الصليبية الأولى بصورة خاصة لتشق طريقها نحو بيت المقدس ، ولتبسط نفوذها على عدد من مدن الساحل الشامي(٢)، فجاء عماد الدين وأفاق المسلمين من غفلتهم ، ومن بعده ابنه نور الدين الذي يعد ظهوره بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحروب الصليبية فوجب عليه وقبل كل شيء أن يحدد مسار الطريق الواضح للمسلمين لقتال الغزاة الصليبيين ، وأن يعيد للحكم الإسلامي مفهومه الصحيح (٣)، وقام بتعريف الناس بمفهوم الحرب والجهاد في سبيل الله ، في الوقت الذي اشتدت فيه الحاجة إلى مثل ذلك ، فوجد الميدان أمامه مهيأ ليظهر مواهبه وأهدافه التي يسعى إليها (٤).

وكان على الناس أن يختاروا أحد طريقين إما الخضوع للغزاة الفرنج مع كل ما يتبع ذلك من انتهاك للحرمات والتفريط في فرائض الدنيا والدين ، وما أتباع

---

(١) – أبو شامة ، الروضتين ، ص١٩٧ .

(٢) – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص١٨٦ .

(٣) – العسلي بسام ، مشاهير الخلفاء والأمراء نور الدين القائد ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٨ .

(٤) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٦٩ .

السبيل والطريق الذي حدده نور الدين من أجل نصرة الإسلام وأهله والعمل للدين والدنيا ، وكان جمهور المسلمين عامة وفئة من الحكام خاصة وقفوا بجانب نور الدين ونهجه ، وهذا العمل من الأعمال الحاسمة في دعم حركة الجهاد ضد الغزاة [١].

وجاءت وحدة القيادة التي رسمها نور الدين وخطط لها بشكلها العلمي والواقعي بطريقة متطورة ، وبأسلوب أكثر إحكامًا ، وأعطى للقيادة الدور الحقيقي والمفهوم الصحيح في تنظيم العمل على الجبهتين الداخلية والخارجية [٢]، وبالفعل نجح نور الدين محمود في استقطاب المسلمين للجهاد وفق العقيدة الإسلامية ، ورسخ مضامين الجهاد في نفوس المسلمين ، كما عمل على صقلهم وتوجيههم في إطار جماعي إلى الحروب .

ثانيًا :مبادأة بالحرب:

كان نور الدين شديد الحرص على الإمساك (بالمبادأة) وعدم تركها في قبضة العدو ، ذلك أنّ إمساك نور الدين بالمبادأة كان يسمح له بوضع الفرنج أمام مآزق تحملهم على الانقياد لمخططاته ، وبالتالي تقرير زمن المعركة ومكانها وفقًا لما كان يريده نور الدين ويخطط له [٣]، واستطاع بفضل حرصه على هذا المبدأ، أن يلحق بالصليبيين خسائر فادحة ، وأنّ يغنم مغانم كثيرة ، إضافة إلى انتزاع عدد من قلاع الشمال وحصونه ، ولهذا استمر نور الدين في حروبه مع عدم التفريط بالمبادأة أو تركها للعدو [٤].

---

[١] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٦٨ .

[٢] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس ، ص٢١٢ .

[٣] – بسام العسلي ، نرو الدين القائد ، ص١٨٠ .

[٤] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس ، ص٢١١ .

ومنذ أن وطئ الفرنج أرض بلاد الشام في حملتهم الأولى سنة ٤٩٠ . ٤٩٣هـ / ١٠٩٦ . ١٠٩٩ م ، وهم يمسكون بالمبادأة ، فلما ظهر نور الدين ، انتزع المبادأة من الفرنج بشكل تدريجي ، وأصبح المسلمون هم الذين يغيرون ولا يغار عليهم ، وأصبحوا هم المبادرين بالهجوم (١).

حاول الفرنج لعدة مرات انتزاع المبادأة من المسلمين ولكن نور الدين استطاع التمسك بالمبادأة بفضل إستراتيجيتيه (التقرب غير المباشر) و(الهجمات التشتيتية) بصورة خاصة ، فاستطاع بذلك حرمان الصليبيين من حرية العمل المطلقة ، التي كانوا يتمتعون بها ويستثمرونها (٢)، ولكن حرص نور الدين بالمبادأة والتمسك به من حرمان الفرنج من حرية العمل وإعطائها لجنوده ، وكان ذلك بداية التحول والتطور الحاسم في وضع الفرنج في موضع الدفاع ، ونقل المسلمين إلى مواقع الهجوم (٣).

هذه البداية جاءت حاملة لمبدأ أخر ، هو مبدأ (المباغتة) وهذا يرتبط بالهجوم أكثر من الارتباط بالدفاع ، وقد بقيت المباغتة في أيدي الفرنج ، وحرصوا على تحقيقها كلما وجدوا سبيلاً لذلك (٤)، غير أن نور الدين نجح في كل مرة إحباط هذا المبدأ إلاّ في مرة واحدة عندما باغته الفرنج ، وهو يحاصر (حصن الأكراد أو قلعة الحصن) المعروفة باسم (موقعة البقيعة) فكانت هذه الموقعة أول وأكبر هزيمة لحقت بنور الدين وجيوشه (٥)، مما جعل نور الدين يتخذ الإجراءات اللازمة لضمان تحقيق المباغتة ، وحماية قواته من ذلك (٦).

---

(١) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٠–١٨١ .

(٢) – نفسه ، ص١٨٢ .

(٣) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١١ .

(٤) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٢ .

(٥) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

(٦) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٢ .

تدل هاتان المحاولتان على أن عملية المحافظة على أمن القوات ، قد أخذت خلال تلك المرحلة شكلاً صعبًا ومعقدًا مما حمل المسلمين والفرنج ، على استخدام المناورات الخداعية للتظليل على أهدافهم ونواياهم ، وللوصول بالقوات إلى أهدافها في إطار محكم من تدابير الأمن (١)، الذي تشمل قبل كل شيء المحافظة على السر ، إذ كان نور الدين يحرص على عدم الإعلان عن هدفه في معظم الأحيان إلاّ عند الوصول إلى الهدف أو الاقتراب منه ، فسرعة تحرك القوات تشكل عاملاً مساعدًا على الاحتفاظ بالسر حيث تظهر أمام أهدافها بصورة مباغتة (٢). وذلك من خلال حرص نور الدين على استخدام مبدأ الهجوم أمام القلاع وحصون الفرنج في الوقت الذي لم يتوقعه هؤلاء من المسلمين ، وأيضًا حرصه على مبدأ تامين القوات إداريًا بما تحتاجه فمثلاً ، تحرك الجيش لنقص المياه أو الغذاء وغير ذلك ، يدل على أن نور الدين أعطى أهمية كبرى للناحية الإدارية من أجل تأمين القوات ومستلزماتها (٣).

إضافة إلى ذلك لم يغفل نور الدين عن المبدأ الاقتصادي حيث عمل في كل عملية من العمليات الحربية على حشد القوى الضرورية لتنفيذ الأعمال القتالية (٤)؛ فعند استيلائه على حارم ، حشد جيوش الشمال ، واستدعى جيش الموصل ، وعندما انتهت هذا العملية بالنصر الحاسم ، أذن للقوات بالعودة إلى أقاليمها ، وسار هو بجيشه لحصار بانياس ، وبذلك تكون جيوش الأقاليم هي الاحتياط الاستراتيجي الجاهز دائمًا للاستخدام في الحالات الضرورية ، التي ترفد

---

(١) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٣-١٨٤ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

(٣) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦٤ .

(٤) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٢٥ .

جيش الجبهة بدعم قوى إذا تطلبت الحاجة لذلك [١]، والواجب على هذه الجيوش هو الدفاع عن الأقاليم ضد أي عدوان يقوم به الفرنج [٢].

وكان تحقيق مبدأ الاقتصاد عاملاً حاسمًا خلال تلك المرحلة التي عاشها نور الدين ، أثناء حالة الحرب المستمرة مع الفرنج ، حيث حرص على تطبيق هذا المبدأ بصورة متوازنة ودقيقة ، حتى يتمكن من تلبية متطلبات الحرب بصورة دائمة ، فالاحتفاظ (بقوات استراتيجية ضخمة للعمل في الاحتياط . أو الخط الثاني)[٣]، دليل ثابتًا على مراعاته لمبدأ الاقتصاد في القوى ، إذ كان باستطاعته زج كل قوى المسلمين في المناطق التي يحكمها لملاقاة الفرنج ، فمثلاً عندما أصيب بالهزيمة في موقعة البقيعة ، وانسحب إلى قرب بحيرة قادس أسرع إلى استدعاء قواته من حلب والأقاليم المجاورة ، وما هي إلا فترة قصيرة ، حتى عاد الجيش وكأنه لم يصب بهزيمة [٤].

ونجح نور الدين وقادته في الحالات جميعها في إحاطة قوات المسلمين بترتيبات أمن محكمة ضمنت لها عدم التعرض للمباغتات [٥]، وإلى جانب تلك المبادئ ، هناك مبدأ هام من مبادئ الحرب هو (أمن القوات) المعروف بالأعمال الهجومية الذي يرتبط بمبدأ المباغتة أكثر من ارتباطه بالأعمال الدفاعية ، بالرغم من أن القوات المتحاربة تحتاج إلى تدابير محكمة أثناء الهجوم [٦].

---

(١) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٤ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

(٣) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص٢١٣ .

(٤) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦٤ .

(٥) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

(٦) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٢ .

ولهذا أحاط نور الدين قوات المسلمين بترتيبات أمن جيدة ضمنت لها عدم التعرض للمباغتات ، وأمنت لها الدخول في معاركها وهي على استعداد كامل للحرب ، وقد أمكن تحقيق ذلك بواسطة تنظيم قواته ، واستخدام المناورة الخداعية [١]، وعلى سبيل المثال في سنة ٥٥٩هـ . ١١٧٣م عندما أراد السير إلى طَبَريّة طارت الأنباء إلى الفرنج فحشدوا قواتهم في طَبَريّة بينما كان نور الدين يقوم بقيادة جيشه إلى بانياس حيث حاصرها إلى أن تمكن من إخضاعها وطرد الصليبيين منها [٢].

وفي سنة ٥٦٤ هـ ١١٦٨م حشد الفرنج قواتهم ، وأعلنوا أنهم يريدون التحرك إلى حمص ، في الوقت الذي كانت فيه هذه القوات تتجه عبر سيناء في طريقها إلى مصر [٣]. عُلم نور الدين المسلمين بأن الغرب قد أقدموا على رفع راية الصليب رمزًا للحربة ، ويجب على المسلمين بأن يخوضوا الحرب تحت الراية التي تقابلها ، وهي راية الجهاد في سبيل الله [٤]، وهذا ما أعطى الحملات في هذه الحرب طابعها الديني ، ولكن أهداف الغرب من هذه الحملات العدوانية هي أهداف تتجاوز حدود الحرب الدينية إلى أعمال السلب والنهب والتدمير [٥].

وحدد نور الدين مفهوم الدور التي سيتولاه المسلمون لحرب الصليبيين الغزاة وأن مقاتلة هؤلاء أمر وأجب عليهم وبأن يعزموا على المضي في طريقهم حتى نهايته ، ولكي يوجد قيادة الحرب أتبع نهجًا خاصًا مبدأ هو طلب من الحكام والأمراء بأن يعلنوا ولائهم له ، في حين كان يطلب من البعض الآخر الانتقال لتولي إمارة أخرى

---

[١] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

[٢] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٣ .

[٣] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢.

[٤] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٩١ .

[٥] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٩٠.

في مكان آخر ، إلى جانب ذلك عمل على عزل آخرين بالقوة، وإبدالهم بآخرين من أقاربه أو أتباعه ، أو أمراء يثق لهم ، وهذا كله من أجل الوصول إلى الهدف الذي كان يسعى له جاهدًا ، وهذا وضع جمهور المسلمين وحكامهم أمام الأمر الواقع ، ولقد عرف نور الدين من خلال تجربته الذاتية ، كيفية تأمين القوات إدارياً بما تحتاجه ، وهذا هو العامل الحاسم الذي أدى إلى حرمان الصليبيين من ضمان إمدادهم الإداري ، وجعل إمارات الفرنج عبئًا على الغرب حيث لم تعد ممالكهم ذلك المغنم الذي يطمع فيه من قبل الفرنج ، أو ذلك المشروع الرابح ، الذي يضمن لأصحابه المكاسب المادية والمعنوية من خلال نهب خيرات المشرق الإسلامي وموارده [١]، ولكن نور الدين بفعل سياسته الحربية عرف كيف يحرم الغرب من تحقيق أهدافهم التوسعية في المشرق وزاد على ذلك بأن فرض عليهم الإتاوات والغرامات [٢].

---

[١] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٨٨–١٨٩ .

[٢] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢.

ثالثًا : **الدور الشعبي في مقاومة الغزو الصليبي**:

لقد كان الدور الشعبي أثر كبير وهام في مقاومة الغزاة الصليبيين ، حيث هبَّ المجتمع بكل أطيافه وألوانه للمشاركة سواءً في خوض المعارك أو في الإعداد النفسي والفكري للمقاومة والجهاد [١]. وكانت القبائل العربية في بلاد الشام ومدن الجزيرة الفراتية في مقدمة المساهمين في عمليات التعبئة والمقاومة ضد الغزاة [٢]، فضلاً عن عناصر مسلمة أخرى مثل الأتراك المقيمين في هذه البلاد [٣]، والأكراد في شمال العراق وسوريا [٤]، فقد كان لهم دور كبير في المقاومة وشكلوا حصنًا منيعًا للدفاع عن طرابلس والمدن الأخرى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٣[٥]، فضلاً عن مشاركتهم في المعارك الحربية ضد الصليبيين [٦].

إلى جانب هؤلاء من سكان المنطقة ، كانت هناك عناصر من المغرب الإسلامي ، جاءوا من ليبيا ومن بلدان المغرب الأخرى ، ومن الأندلس أيضًا ، وكان يطلق عليهم جميعًا اسم المغاربة ، حيث اتجهوا إلى بلاد الشام وأسهموا إسهامًا فعالاً في معارك الجهاد ضد الفرنج ، وأبلوا بلاءً كبيرًا في دحر الصليبيين[٧].

---

[١] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٤٩ .

[٢] – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج٢ ، ص٩ .

[٣] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٥٠ .

[٤] – المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٣ ، ص٣٠٥ .

[٥] – ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج١ ، ص١١٥ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٥١ .

[٧] – تسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٦١ .

وهناك عناصر لها دور في التجارة والاقتصاد والصناعة ، ومنهم عناصر من أهل الذمة وتمثلوا في المسيحيين واليهود [1]، فالعناصر اليهودية استغلت بالنشاط الاقتصادي ، لاسيما التجاري [2]، وشكلت مراكز ثقل مادي يعتد بها ، وقد رأت الدولة النورية ضرورة الإفادة منهم لدعم اقتصادياتها ، وبخاصة أن البنيان الاقتصادي يدعم بصورة كبيرة السياسة الحربية والدفاعية [3].

إن هذه المشاركة دليل على التعايش السلمي الذي وجد بين اليهود والمسلمين إذ نجد أن هذه العناصر اتسعت في مجالات عملهما ، ولم تكن قاصره على الجانب التجاري، بل نجدهم حتى في الجانب العلمي وبعض هؤلاء اشتغل بالطب [4]. بما يشير إلى أن مجالات عملهم اتسعت ، ولم تكن قاصرة على الجانب التجاري.

اتسم المجتمع الشامي بوضوح تركيبته الطبقية فكانت هناك ثلاث طبقات تقريبًا وهي الطبقة الخاصة وتشمل طبقتين الأولى تشمل رجال الدولة ومعاونيهم من الوزراء والحجاب وكبار موظفي الدواوين وقيادات الجيش والطبقة الثانية العلماء والفقهاء ، والأدباء الذين اتصلوا بالسلطة السياسية ، والطبقة الثالثة هي الطبقة العامة والتي شكلت السواد الأعظم فشملت عناصر الفلاحين وصغار الحرفيين والتجار [5].

فالطبقة الأولى أدت دورًا مهمًا في مقاومة الغزو الصليبي حيث شاركت في ساحات المعارك ، واضطلعوا بأعباء قيادة الجهاد في سبيل الله ، وكان لكل واحد من

---

[1] – القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج١٣ ، ص٢٧٨ .

[2] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٢٧ .

[3] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٦٢ .

[4] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٢٧ .

[5] – ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ص١٦٢ .

هؤلاء القادة شغله الشاغل في العمل واستعادة الأراضي المقدسة الإسلامية للعرب (١).

أما الطبقة الثانية فقد ازدهرت على امتداد تاريخ بلاد الشام في العصور الوسطى ، طالما وجدت الاستقرار السياسي الملائم ، إلاّ أنها نشطت بصورة واضحة خلال الفترة الزنكية وكانت هذه الفئة تمثل عنصرًا للتأثير السياسي ، حيث دعموا الدولة اقتصاديًا في الحرب والسلم (٢).

أما الطبقة العامة . لاسيما الفلاحين . فشكلت قاعدة الهرم في ذلك الوقت، فمثل الفلاحون دعمًا حربيًا متجددًا للجيش النوري ، وذلك من خلال الاستمرار في سياسة التجنيد الإجباري التي اتبعها الأتابك عماد الدين(٣)، استمرت في زمن نور الدين ، وهؤلاء مثلوا المورد البشري اللازم لخوض المعارك(٤).

ويتضح من ذلك أن كل هذه العناصر من قادة وأمراء ووزراء وعلماء وفقهاء إضافة إلى التجار والفلاحين وعامة الناس كان لهم الدور الأكبر في مقاومة الغزو الصليبي ؛ فمنهم من شارك مشاركة فعلية والدخول في ساحات الحرب ، ومنهم من قدم الدعم المالي ومنهم من قدم الدعم المعنوي ورفع الروح المعنوية للمقاتلين في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ومنهم من قدم الدعم الاقتصادي والتجاري للدولة وذلك من أجل النهوض بالدولة إلى الأمام من خلال تقديم الحاجات الضرورية واللازمة للمقاتلين .

فلا غرابة من ذلك أن الدور الشعبي كان واضحًا ولعب دورًا أساسيًا في مقاومة الغزو الصليبي ، وبشكل عام برز الموقف الجهادي للشعب في كل مكان ،

---

(١) – جمال محمد سالم خليفة ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص١٥٢ .

(٢) – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٢٨–٣٢٩ .

(٣) – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص٢٦٣ .

(٤) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٥٧ .

وكانت مصر دائمًا لا تبخل بمعونتها عند القدرة فكثيرًا ما كانت تقوم بإرسال الحملات البرية والبحرية إلى الشام للمساعدة ، وكذلك حلب والجزيرة الفراتية جميعها كانت ترسل المساعدات والنجدات إلى الشام [١].

فكل الجماهير المسلمة على الأرض العربية أحست بالخطر الصليبي الذي انتهك حرمات الأراضي المقدسة ، والتي واجهت أعمال القتل والإبادة ، فأصبح من الطبيعي أن تتابع تحركات قادتها في خوض المعارك [٢].

---

[١] – وفاء جوني ، دمشق والمملكة اللاتينية ، ص٣٠٢ .

[٢] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٦٠ .

المبحث الثاني

سياسة نور الدين الحربية

أولاً : سياسة نور الدين محمود العسكريـــــــــــــــة.

ثانيًا : أشهـــــر قواده في الحـــــرب والسياســـــة .

ثالثًا : تطور الأساليب الحربية في مقاومة الغزو الصليبي .

أولاً : **سياسة نور الدين العسكرية** :

منذ سنوات عمره الأولى خاض نور الدين غمار الحرب ،تحت قيادة والده (عماد الدين) فعرف أن مجابهة الغزاة الصليبيين تتطلب حشد قوات أكبر من تلك التي كان يتم جمعها وكان العمل لإيقاف زحف الغزاة الفرنج يحتاج إلى تنسيق أكبر للجهد، فلما توفى عماد الدين انصرف ابنه نور الدين لتحقيق تلك الأهداف[١].

من جانب آخر لم تكن القوى المادية والبشرية هي كل ما يحتاجه نور الدين للنصر في حربه ضد الغزاة ، وكذلك لم يكن تنسيق الجهود هو الوسيلة الوحيدة لمجابهة الجهد المنظم بجهد منظم [٢]، ولكن كانت هناك حاجة أخرى ضرورية هي اكتساب الثقة ، ثقة جمهور المسلمين بقيادتهم ، وثقة جموع المجاهدين في سبيل الله بقدرتهم على إيقاف ذلك الزحف الصليبي الذي جاءهم من الغرب الحاقد على الإسلام والمسلمين جميعًا [٣].

فهذه الثقة التي تحصل عليها نور الدين لم تكن بالأمر السهل ؛ فقد مضت عصور وحكام المسلمين في المدن والأقاليم ، تتنازعهم الأهواء وتشتتهم المطامع ، وتمزقهم المنازعات على أمور الدنيا ، فجاء نور الدين وغيرة تلك المعادلة وهي التنافس ضد أعداء الدين وتحت راية الجهاد في سبيل الله [٤].

---

[١] – بيضون ، جميل ، وآخرون ، تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السادس ، الطبعة الأولى ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ١٩٨٩ ، ص١٠٩ .

[٢] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٢ .

[٣] – تيسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٢٧ .

[٤] – جميل بيضون ، تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السادس ، ص١٠٥ .

لقد كان باستطاعة نور الدين عندما امتلك أسباب القوة المادية ، أن يفرض هيمنته على أمراء المدن وحكام الأقاليم بالقوة وعن طريق الصراع المسلح ، غير أنه لم يلجأ إلى أسلوب القوة والقهر إلاّ في حالات قليلة [١].

لقد جاء نور الدين وأعاد الأمور إلى نصابها [٢]، والتزم بقول الله سبحانه وتعالى :{ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ** } [٣].

وقال الله تعالى : { **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** }[٤].

فكان النهج والطريق التي أتبعها نور الدين مزيجًا من العمل السياسي والعمل العسكري ، كان الحزم فيه أكثر من البطش وخلق الإسلام هو الموجه في الحالات جميعها ، مقابل ذلك عرف الصليبيون هذا التحول ، وتعرفوا عليه في ميادين القتال فحرصوا على تجنب الاشتباك قدر استطاعتهم وعملوا على التملص ما أمكنهم ذلك ، عند أي لقاء لهم مع المسلمين [٥].

ولهذا فإن اكتساب ثقة الجمهور الذي وصل إليه نور الدين لم يتحقق إلاّ عندما برهن عمليًا على صدقه في الجهاد وألزم نفسه وأهله بالتقوى ، وألبسهم ولبس معهم ثياب الزهد ، فجاء قوله مطابقًا لعمله ، فعرفوه حكام المدن حقيقة نور الدين ، واعترف له بفضائله ، فدانوا لحكمه وساروا في ركابه ، وخضعوا لإرادته [٦].

---

[١] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٢ .

[٢] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٤٨ .

[٣] – سورة النحل ، الآية (١١٢) .

[٤] – سورة النساء ، الآية (٧٣) .

[٥] – أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٢٣-٢٤ .

[٦] – جميل بيضون ، تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السادس ، ص١٠٤ .

وعرفت الجماهير المسلمة في القرى والمدن إخلاص نور الدين ، فتسارعوا للفداء ، وزالت السدود التي كانت تعيقهم عن أداء فريضة الجهاد في الدفاع عن دين الله ، وحماية أراضي المسلمين [١]، وأصبحت استجابتهم استعدادًا دائمًا للبذل والعطاء للتضحية والفداء [٢].

وعندما حصل نور الدين على القوة والدعم البشري وجب عليه إلاّ يحاول القضاء على حكام الأقاليم وأمراء المدن من أجل فرض السيطرة الشخصية ، أو من أجل دعم نفوذه ، فتركهم في مواقعهم ، ولم يطلب منهم إلاّ أمرًا واحدًا وهو دعمه بالقوات والجند عندما تتطلب الحاجة إلى ذلك [٣]، كما طلب من هؤلاء الحكام عدم الوقوف أمام جماهير المسلمين أو إعاقتها عن أداء دورها في حمل راية الجهاد في سبيل الله ولم يكن باستطاعة الحكام والأمراء عدم الاستجابة لما يطلبه نور الدين وهذا الطلب يمثل الحد الأدنى المطلوب من الحكام المسلمين ، للدفاع عن الدين والديار الإسلامية [٤].

وإلى جانب ذلك عمل نور الدين على جمع أمراء المسلمين ليشعرهم بمسئوليتهم تجاه تحرير الأرض من الأعداء الصليبين [٥]، ونجح في مشروعه الذي يهدف إلى طرد ومحاربة الصليبين ، فتزايد نفوذ النخبة العسكرية ، وحشدت القوات العسكرية من أجل مهاجمة الغزاة [٦]، كما نجح في تكوين جبهة مرتبة لها أمن محكم ضمنت له الدخول في معارك وهي على استعداد كامل للحرب [٧].

---

[١] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٤٩ .

[٢] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٣ .

[٣] – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٥١ .

[٤] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٤٥ .

[٥] – جميل بيضون ، تاريخ المشرق من القرن الخامس حتى القرن السادس ، ص١٠٦ .

[٦] – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢١١ .

[٧] – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٢ .

لقد تمكن نور الدين من تحقيق تنظيم قواته ، واستخدام تجربته الذاتية وسياسته الحربية في مبدأ تأمين القوات إداريًا بما تحتاجه ، كما اعتمد على عدد قليل من الجند المخلصين وقرر لهم المرتبات الوافية ، إضافة إلى أن نور الدين أخرج لهم من عنده عطاء خاصًا فوق المرتبات في الحملات الهامة ، كما حرص على أن يتثبت بنفسه من سلاح المقاتلين [١]، وذلك من أجل الخدمة العسكرية ، وللقيام بذلك وضع جهازًا إداريًا محكمًا يمكنه من استغلال كافة الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة من أجل دعم ميزانية البلاد التي ستصب وبصورة كبيرة في ميادين القتال [٢]، وتمثل ذلك في إنشاء مجموعة من الدواوين المهمة مثل ديوان الاستيفاء أو المالية الذي اختص بكافة المصادر المالية للدولة مثل الزكاة والجزية والخراج[٣]، وعرف هذا النظام الأول بالالتزام ، والثاني بالمقاسمة [٤].

وكل هذا من أجل جمع متطوعين أكثر في الجيش للدفاع عن البلاد والإسلام ، انتهج سياسة خاصة مع الجند ، فإذا استشهد أحد من أجناده حفظه مع أهله ، وأولاده ، وأجرى عليهم الجرايات وولي من كان منهم أهلاً بالولايات[٥]، وكان يرتب لهم الرجال الذين يعتنون بهم حتى يكبروا ، مما جعل الجنود يستبسلون في قتالهم طالما أن عائلاتهم مضمونة [٦]، فهذا التصرف وحُسن السياسة التي اتبعها نور الدين مع الجنود زاد في عددهم بصورة أكبر ، وأصبحوا من جنود الدولة

---

(١) – ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج١٦ ، ص٢٩٦ .

(٢) – توفيق ، سامية ، الثروة الزراعية في إقليم خراسان ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، العدد ٣ ، ١٩٨٥ ، ص٢٤.

(٣) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٣٨ .

(٤) – سبط الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣١٢ .

٥) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٧ .

(٦) – جميل بيضون ، تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السادس ، ص١٠٧ .

المستعدين للدخول في الحرب في أي وقت ، إلى جانب ذلك نجح نور الدين في استمالة قبائل العرب حيث أقطع شيوخها الاقطاعات في نواحي الأردن وشمال الجزيرة العربية وفي الشام ، وكانت نتيجة ذلك أن اتجه ذووا الهمة من أفراد القبائل للانضمام إلى جيش الدولة والإسهام في الجهاد (١).

حرص نور الدين على أن يضم إلى الدولة الإمارات العربية التي كانت شبه مستقلة في بعض نواحي الشام والجزيرة الفراتية ، وعوض رجالها عن ذلك بالاقطاعات الواسعة ذات المردود الوفير ، فانضموا إلى جيش الدولة وغنيت صفوفه بالمقاتلين ، وكان لهم فيما بعد أثر محمود في معاركه ضد الغزاة الصليبين (٢)، وأصبحت هذه القوات على استعداد الدائم للقتال حيث برهنت على قدرتها لمجابهة الصراع في أي وقت وفي أي مكان ، واستعدادها للتحرك بحماسة إلى ميادين القتال تدانت أو تباعدت ، ومهما تجمعت فيها العقبات أو تعاظمت الحرب فالمسلمون الذين تجمعوا من جميع الديار العربية الإسلامية اعتبروا أن قتال ومنازلة الصليبيين وطردهم من الأراضي المقدسة هو من واجبهم جميعًا ، وليس فقط واجب عرب الشام أو سكان المشرق العربي جميعًا ، وساعدهم على ذلك الالتفاف حول قيادة نور الدين محمود الذي أفاق العرب من رقدتهم وحرص على الدعاية لحرب الفرنج وفعلاً نجح في جمع المقاتلين والوقوف في صف واحد ضد الغزاة .

ثانيًا : أشهر قواده في الحرب والسياسة :

(١) – ابن الأثير ، الباهر في التاريخ ، ص١٦٩ .

(٢) – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢١٨ .

إعتمد نور الدين على عدد كبير من القادة ، الذين أخلصوا له ، وأصبح لهم أعظم الأثر فيما وفق إليه من انتصارات وأعلاهم مرتبة هم الأمراء ، أي أمراء الجيوش (١)، وكان معظم هؤلاء يعملون مع أبيه عماد الدين فامتلكوا خبرة واعتمد عليهم نور الدين وقدموا أنفسهم له فمضوا معه في مشاهده وحروبه (٢).

ومن أشهر قوادة في الحرب والسياسة :

- أسد الدين شيركوه هو أكبر قواده وأعظم أمرائه ، وكان له الفضل الكبير في استقرار مدينة حلب وبعدها ضم دمشق وفتح مصر(٣)، وبقى إلى جانب نور الدين في حروبه ، وأقطعه نور الدين حمص والرحبة ولما رأي من شجاعته وزاده عليها ، وجعله مقدم عسكره ، وكان له نشاط كبير في حروب بلاد الشام، فلما أراد نور الدين مُلك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب فساعد نور الدين على ملك مدينة دمشق وبقى مع نور الدين ، إلى أن أرسل أسد الدين إلى مصر عدة مرات إلى أن فتحها (٤).
- صلاح الدين الأيوبي هو أبن أخ أسد الدين شيركوه(٥)، رافق عمه في الحروب بشكل دائم حتى حل منه محل النائب ، كما أنه تأثر عظيم الأثر بخلق نور الدين ، وفي سنة ٥٥١هـ ١١٥٦م تسلم صلاح الدين منصب نائب شحنة دمشق لفترة قصيرة ، حيث ترك عمله هذا والتحق بجيوش نور الدين ، وشارك في أعمالها الحربية ضد الفرنجة ، ولازم نور الدين ملازمة شديدة حتى صار من

(١) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨٨ .

(٢) – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٩٣ .

(٣) – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٩٢ .

(٤) – المقدسي أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، ص٢٩١ .

(٥) – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٩٧ .

رجاله المقربين [١]، وعندما استولى نور الدين على مصر حدث تنافر ما بين الطرفين ، لأن نور الدين أدرك رغبة صلاح الدين في الاستقلال بأمور مصر ، وهذا يؤدي إلى الانحراف عن الهدف الذي أراده نور الدين من خلال إرسال قواته الشامية إلى مصر، ولكن تحركات صلاح الدين للسيطرة على الصعيد واليمن ، أثارت مخاوف نور الدين ، فهو لا يريد الابتعاد عن حرب الفرنج ، كما أنه لا يريد خوض صراع مع صلاح الدين ، بعد أن تصبح قاعدته قوية في مصر ، ولهذا رغب في حسم القطيعة منذ بدايتها [٢]، غير أن كف القدر تدخلت لحسم الموقف بطريقة مغايرة تمامًا ، إذ توفى نور الدين ، وتابع صلاح الدين الطريق الذي مهده نور الدين [٣].

- ابن الداية ، وهو مجد الدين أبو بكر بن الداية صاحب حارم كان له الدور الكبير عندما حاصر نور الدين قلعة جَعْبَر فأرسل نور الدين عسكرًا لمحاصرة هذه القلعة وكان في مقدمة هذا الجيش ابن الداية ، وحاصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشيء وما زالوا على صاحبها شهاب الدين مالك ، حتى سلمها وأخذ عوضًا عنها مدينة سَرُوج بأعمالها ، وبعد ذلك أصبحت تابعة لنور الدين سنة ٥٦٤هـ ١١٦٨م [٤].
- نصرة الدين أيوب أخ توران شاه ، كان أمير أمراء شارك في معظم الحملات في بلاد الشام مع نور الدين [٥].

---

[١] – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٩٢ .

[٢] – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص١٨١–١٨٣ .

[٣] – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٩٩ .

[٤] – ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص٦٨٨ .

[٥] – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٠٠ .

- ينال بن حسان الذي شارك في العديد من الحرب بجانب نور الدين وبعد وفاته تعصب للملك الصالح ، وبعد الصالح دخل في خدمة سيف الدين غازي الذي ولاه الرقة [١].
- ابن الفرّاش القاضي كان قاضي العسكر في أيام نور الدين وتوفى بملطية سنة ٥٨٨ هـ ١١٩٧م [٢].
- توران شاه بن نجم الدين أيوب وهو الأخ الأكبر لصلاح الدين ، كان له دور في الحرب حيث أرسل سنة ٥٦٩هـ ١١٧٣م بجيش إلى اليمن لفتحها واتخاذها ملكًا لبني أيوب ، فسار توران شاه في مستهل رجب إلى مكة أولاً، ومنها توجه بقواته إلى زبيد فملكها عنوة واستولى على عدن وقلعة تعز الحصينة[٣].
- الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين ، أحد مقدمي أمراء الأكراد ، والوجاهه في الدولة ، شارك في حرب نور الدين ضد الفرنج وتميز في المعارك التي خاضها بالشجاعة والبسالة [٤].

وإضافة إلى ذلك هنالك العديد من القواعد والأمراء تحت إمرة نور الدين أخلصوا له وللدولة النورية ، وخاضوا غمار المعارك من أجل استرداد الأراضي الإسلامية من الغزاة الصليبين ، والدفاع عن الدين الإسلامي. فمن سياسة نور الدين واعتماده على القواد استطاع أن يبني قاعدة صلبة من الجيوش للدخول بهم في المعارك.

ثالثًا :تطور الأساليب الحربية في مقاومة الغزو الصليبي:

---

[١] – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٠٠ .

[٢] – ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٣٦ .

[٣] – السيد عبد العزيز سالم ، سحر السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص١٠٠ .

[٤] – عليا ديب تيريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص١٠٠ .

كان نور الدين يتبع في خططه العسكرية أساليب العرب التقليدية في ترتيب الجيش ميمنة وميسرة وقلبًا ، ووضع الكمائن في مواضع يختارها لتكسر على جانبي جيش العدو وقت الضرورة [1].

إضافة إلى ذلك طور نور الدين أساليب الأتراك مثل وضع الجناحين متقدمين عن القلب قليلاً ، بحيث تبدو هيئة الجيش كالهلال ، إذا دفع العدو على القلب تراجع قليلاً ، ثم يسرع الجناحان بالانضمام على قلب جيش العدو فيحصر حصرًا شديدًا ، والجناحان دائمًا مكونان من أحسن الفرسان رماة أو مقاتلين بالسيف [2]، كما أضاف نور الدين محمود إلى الجيش فرقًا من مهرة رماة الفرسان يقفون خلف الجناحين وخلف الصفوف الأولى من القلب ، يمطرون العدو بالسهام غطاء للفرسان أو المشاه المتقدمين[3]، وكان فرسان الجناحين والرماة يختارون عادة من التركمان[4]، فهؤلاء لهم مهارة لا تداني في ركوب الخيل والكر بها في سرعة ومرونة حّيرت الإفرنج[5]، كما أنهم لا يدخلون المعركة الاّ مدرعين بالحديد من الرأس إلى القدم ، وكانت لهم دروع يغطون بها رأس الفرس وصدره وكتفيه ، فيصعب ضربهم في مقتل[6]، فكان لهم دور في القتال مما زادت من مكانتهم فأقطع نور الدين كبارهم الاقطاعات ، وأصبحوا من جند الدولة [7].

---

(١) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨٠ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٠ .

(٣) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨٠ .

(٤) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢٥٠ .

(٥) – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٨٧ .

(٦) – حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨١ .

(٧) – ابن قاضي شهبة ، الكواكب الذرية ، ص٣٠ .

أما الفرسان النظاميون فقد دفعوا بالحراب الطويلة في صدور فرسان الصليبين[١]، وألقوا بالفارس على الأرض فأجهز عليه المشاة بالسيوف أو أسروه إمساكًا باليد [٢] .

فهؤلاء اعتمد عليهم نور الدين في حروبه ، وتقاضوا الرواتب الشهرية[٣]، فازداد عددهم في المواقع الحاسمة على عشرة آلاف نصفهم أو أقل قليلاً من الفرسان ، ولكن أعداد المتطوعين والمقاتلين من أهل المدن والأرياف كانت كثيرة جدًا ، وهم يسمون (بالأحداث) وكانت فيهم قوة معنوية هائلة تعوض نقص التدريب ، فكانوا يشدون على العدو في حماس وقوة طلبًا لإحدى الحسنين الظفر أو الشهادة [٤]، هذه الجماعة تتقدم الجيش يقودها عدد قليل من طلائع الفرسان يسمون اليزك وتقف بقيتها وراء الفرسان في القلب [٥]، فإذا زعزع الفرسان نظام العدو وأحدثوا فيه ثغرات ، أنصبوا منها سيلاً جارفًا يكتسح مشاة العدو أو يُعقر خيل الفرسان فتقع ويسقط راكبوها إلى الأرض ، وكان أكثر سلاح هؤلاء الأحداث السيوف أو الخناجر أو السكاكين وربما الهراوات أو الحجارة [٦].

إضافة إلى ذلك استخدم نور الدين استراتيجية الهجمات الوقائية أو ما يعرف باسم الضربات الاجهاضية المسبقة لأن الفرنج كانوا يحتاجون باستمرار لاتخاذ إجراءات واسعة من أجل الإعداد لهجماتهم مثل حشد القوى من مناطق مختلفة ، وتنظيم التحرك والمسير[٧]، فكان باستطاعة نور الدين عبر شبكة استخباراته

---

(١) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢١ .

(٢) – حسن مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨٢ .

(٣) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٧٣ .

(٤) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢١ .

(٥) – حسن مؤنس ، نور الدين محمود ، ص٣٨٢ .

(٦) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢١ .

(٧) – المرجع نفسه ، ص٩٠–٩١ .

وعناصر استطلاعه معرفة نوايا العدو وأهدافه بصورة مسبقة ، ومجابهة العدو بهجمات يشغله بها عن نفسه ويحرمه من حرية العمل العسكري ويحبط له أهدافه (١).

والهجمات الاجهاضية المسبقة التي كان نور الدين تقدم بها لم تصمم باستمرار لتأخذ شكل الهجمات الإجهاضية ، ذلك أن الحرب بين الفرنج والمسلمين كانت قائمة باستمرار (٢)، وكانت عملية الصراع على الأهداف معروفة للطرفين المتصارعين، مثل الاستيلاء على حصن أو قلعة، أو الإغارة على قافلة من القوافل التجارية، وكان كلٌّ من الطرفين المتصارعين يسعى جاهدًا لسبق عدوه(٣).

إلى جانب ذلك كانت خطط الهجوم المباشر ، حيث كانت هجمات قواته تتركز على مؤخرات قوات العدو وقواعد إمداده وتموينه ، وقد ساعدت هذه الخطة في تحقيق النجاح الكبير ، حيث كان الفرنج يلجؤون في معظم الأحيان لطلب الهدنة ، والانصياع لطلبات نور الدين والتسليم بما كان يهدف لتحقيقه(٤)، فكل هذه الأساليب توافقت مع طموح المجاهدين في سبيل الله ففرسان المسلمين من ترك وعرب وكرد(٥)، وكذلك عناصر أخرى من المغرب العربي والأندلس الذين ساهموا وشاركوا إخوانهم في صراع الغزاة الصليبيين تحت قيادة نور الدين ، أبلوا بلاءً كبيرًا في دحر الصليبيين (٦).

---

(١) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٧٥ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٣ .

(٣) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٧٦ .

(٤) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٢٢٣ .

(٥) – محمد مؤنس أحمد عوض ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص٢١٠ .

(٦) – بدر ، أحمد ، الأندلسيون والمغاربة في القدس ، مجلة أوراق المعهد الأسباني العربي للثقافة ، العدد ٤ ، ١٩٨١ ، ص١٣٣ .

فهؤلاء العناصر يعتمدون على خفة حركتهم ومرونتهم وكفاءتهم العالية في استخدام أسلحتهم ، وأساليبهم في الإغارة [١]، في حين بقي الفرنج أكثر قدرة في قتال الصدمة حيث يقف فرسان الفرنج في صفوفهم كالجدار وذلك بسبب اعتمادهم على الدروع والقدرة على الحشد [٢]، ونظرًا لتقدم المسلمين في أساليبهم الحربية، فقد حاول الفرنج تقليدهم ومحاكاتهم في اقتباس هذه الأساليب .

وإلى جانب تلك الأساليب فقد اعتنى نور الدين بالحصون والقلاع لأنها كانت عماد الدفاع ، كما بنى الأسوار حول بلاد الشام جميعها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ، وأقام على أركان الأسوار الأبراج العالية ، وزودها بالجنود الكثيرة وكان يحرص على أن يكون في القلعة أو الحصن ذخيرة وافرة ومؤن مدّخرة يعتمد عليها المدافعون وأهل البلد أثناء الحصار [٣].

وعندما اتسعت دولته واحتاج إلى الوقوف على الأخبار أولاً بأول ، وضع نظامًا محكمًا لنقل الأخبار بواسطة الحمام الزاجل ، فجعل أعدادًا منه في قلاع المدن وأبراج الحصون وأبراج الحراسة ومعها رجال موكلون بها ، فإذا بدا خطر أو وقع حادث أسرع الرجال بتطيير الرسائل بواسطة الحمام ، فتصل إلى نور الدين فيسرع بالاستعداد والخروج ويبعث برأيه وأوامره [٤]، ينظر الملحق رقم (٢) .

---

(١) – تيسير بن موسى ، غزوات الإفرنج ، ص١٦١ .

(٢) – عليا ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، ص٩١ .

(٣) – بسام العسلي ، نور الدين القائد ، ص١٧٦ .

(٤) – ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧١ .

الخاتمة

١. بدأ الزحف الصليبي على آسيا الصغرى والشام في وقت ليست فيه قوة إسلامية تستطيع الوقوف في وجه الجيوش الصليبية ؛ فالدولة السلجوقية باتت بعد وفاة سلطانها ملكشاه سنة ٤٨٥هـ ١٠٩٤م دويلات متناثرة لا رابطة بينها سوى الحروب المستمرة ، في الشام والعراق ولم يوجد حاكم ذو نفود واسع ، بل استبد بمختلف المدن الشامية والعراقية مجموعة من الأتابكة المتنازعين ، وهم الموظفون الذين قاموا على تربية أبناء السلاطين وعينوا إلى جانبهم في ولاياتهم ، فلما تفككت الدولة السلجوقية الكبرى ، صار أولئك أصحاب الدويلات في المدن الشامية والعراقية .

٢. أما الخلافة العباسية في بغداد فلم يكن لها حول ولا قوة وضاعت هباء صرخات المسلمين لا ستنهاض الخليفة العباسي المستنصر الله ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، وكذلك الحال بالنسبة للخلافة الفاطمية لم يكن باستطاعتها . وهي صاحبة بيت المقدس وغيرها من المدن جنوب الشام . أن تقوم بعمل كبير ضد الفرنج ؛ فالخليفة الفاطمي بالقاهرة مسلوب السلطان وذلك بسبب الحزبية العسكرية وتنازع المصالح والأطماع بين الوزراء الفاطميين ، وهذه العوامل سهلت على الفرنج هزيمة المسلمين ، كما سهلت عليهم تأسيس إمارة لهم في المشرق ، ولم يكتف الصليبيون بإقامة هذه الكيانات بل أخذت هذه الكيانات تعمل جاهدة على التوسع على حساب المسلمين وحتى على حساب حلفائهم البيزنطيين ، مستغلين الفرصة لتحقيق أطماعهم في المشرق الإسلامي .

٣. لم يدم الحال للصليبيين ، إذ ظهرت حركة الإفاقة للمسلمين نهضت بها دول الاتابكية في شمال العراق والشام ، وتطورت الحركة الإسلامية لطرد الغزاة ، وظهر من أمراء هذه الدول أتابك قوى هو عماد الدين زنكي أمير الموصل ،

واستطاع أن يتولى إدارة مدينة واسط والبصرة تم استولى على الموصل، ثم بسط سلطانه على مدينة حلب ، وأصبح مؤسس لدولة كبيرة تهدد ممتلكات الصليبين ، واستهل أعماله بحصار مدينة الرها واستولى عليها وبهذا العمل نجح في إزالة الوتد الصليبي الذي شق البلاد الإسلامية كما نجح في جمع شتات العرب المسلمين في بوتقه واحدة من أجل الجهاد ضد الإفرنج المغتصبين للأراضي الإسلامية والمعادين للإسلام، ولكنه لم يواصل جهاده وكفاحه فقتل أمام قلعة جعبر عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م وترك المهمة لابنه نور الدين لإتمام الدور الجهادي ضد الصليبين وخلف له سياسة مرسومة واضحة المعالم .

٤. جعل نور الدين من مدينة حلب عاصمة له ، وبلغت الدولة في أيامه أعظم مجدها واتساعها واستطاع على أثر توليه الحكم أن يتخلص من الفتن الداخلية التي تلت مقتل والده ، ثم عمل على توحيد الموصل وحلب ومصر أي المناطق المحيطة بالإمارات الصليبية ، مما وضع الفرنج داخل نطاق محكم من الحصار البري ، منعهم من التوسع على حساب بلاد المسلمين وأراضيهم وممتلكاتهم .

٥. استطاع نور الدين أن يحقق الوحدة بين المشرق الإسلامي ومصر واليمن وبلاد النوبة تحكمه إرادة واحدة وهي إرادة نور الدين محمود زنكي التي أوصل البلاد لهذه المكانة بالانتصارات العديدة التي طغت على الهزائم التي منيت بها أمام الفرنج .

٦. فكل هذه القوى العربية التي استطاع نور الدين أن يجمعها والتي أتته من بلاد المغرب أي في شمال أفريقيا ومصر إضافة إلى البلاد الشامية والجزيرة

الفراتية ، وأصبحت هذه القوى يجمعها هدف مشترك ، هو الجهاد في سبيل الله ضد الصليبيين .

٧. كما أن هذه القوى أو الجبهة الإسلامية لم تكن موجودة قبل عماد الدين ونور الدين ، بل كان التفكك والضعف سائدًا في أوصالها ، وإلى جانب ذلك اهتم نور الدين بالنواحي الإدارية والسياسية والعسكرية والعمرانية ، فاهتم ببناء المساجد والمدارس والأسوار والربط والزوايا والخوانق ، البيمارستانات وبناء دار للعدل ، كما اهتم بالعلماء وقربهم إليه في مشاروتهم في معظم الأمور السياسية والحربية إضافة إلى الدور الكبير الذي أدوه في تعبئة المسلمين فكريًا ومعنويًا إلى جانب مشاركتهم الفعلية في الحرب .

٨. هكذا استطاع نور الدين أن يحوّل الدولة الإسلامية بعد التفكك والضعف والتجزئة إلى دولة لها حدودها وأركانها ومكانتها السياسية والحربية والثقافية والاقتصادية ، فأصبحت الشام مركزًا العلم والعلماء والفقهاء بعد خلوها وعدم استقرارها ، فكانت حياة نور الدين كلها عطاء لأمته ، حفظ لها دماءها وضمن أمنها ووفر لها متطلباتها وجمع شتاتها ووحد شملها وحدد لها هدفها وبناء لها مستقبلها .

٩. هذه الفتوحات والأعمال استمرت في فترة استلام نور الدين للحكم وتسييره لكافة الأمور ، واستطاع أن يفرض مكانته هو وجنده ، وأن يلحق الهزيمة النكراء بالفرنج ، كما عمل أيضًا على مد يد العون لغيره ، كما أنه اختار رجالاً أكفاء عرفوا قدره وقيمته وصدقه ، وعرفوا واجبهم نحو وطنهم ونحو الله مما جعلهم ينجحون في تحقيق فتح معظم مناطق العرب من أفريقيا إلى اليمن فالعراق حتى أقصى غرب الأناضول (تركيا الحالية).

١٠. وهكذا اتسعت الدولة النورية ، فبدلاً من مدينة رئيسية ، صارت تخضع لها دولة متسعة مترامية الأطراف ، ذات نطاقين أسيوي وأفريقي ، وحوت العديد من المدن الكبرى الهامة في المنطقة مثل دمشق وحلب والموصل والقاهرة ، فهده المدن كانت دعامة حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين .

. تم بحمد الله وشكره .

قائـــمة

المصادر والمراجع والدوريات

أولاً : المصـــادر :

- **القرآن الكريم** : برواية قالون . مصحف الجماهيرية .
- **ابن الأثير** : عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)

١. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر أحمد طلعت ، دار الكتاب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

٢. الكامل في التاريخ ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٩ .

- **الأصفهاني** : العماد الكاتب محمد ،(ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)

– سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

- **ابن أبي اصيبعة** : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م)

– عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- **ابن تغري** : بردي الأتابكي ، أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م)

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- **ابن الجوزي** : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)

– المنتظم في تاريخ الملوك ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ .

- **الحنبلي** : أحمد بن إبراهيم

– شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون ، العراق ، ١٩٧٨م .

- **الحريري** : سيد على

– الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م .

- **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)
– العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- **ابن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)
– وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- **الذهبي** : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٨م)
– دول الإسلام ، تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- **الزركلي** : خير الدين
– الإعلام ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- **السبكي** : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)
– طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .
- **سبط الجوزي** : شمس الدين أبو المظفر (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٩٥١ .
- **ابن الشحنة** : محي الدين أبو الفضل (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)
– الذر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق عواد سركسي ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- **ابن شداد** : عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
– الإغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، قسم حلب ، تحقيق يحيى عبارة وسامي الدهان ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ .
- **ابن شداد** : بهاء الدين (ت ٦٣٢ هـ/١٢٢٤م)
– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- **أبو شامة** : شهاب الدين عبد الرحمن ، (ت ٦٥٥ هـ/١٢٦٧م)

– الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي ومحمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

- **الصويري** : وليم

– تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ .

- **ابن ظافر الأزدي** : جمال الدين أبو الحسن (ت ٦١٢ هـ/١٢١٦م)

– أخبار الدولة المنقطعة ، تحقيق أندرية قريبة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

- **ابن عساكر** : أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)

– التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- **ابن العديم** : كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)

– زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١م .

- **ابن العماد الحنبلي** : أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م)

– شدرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت .

- **ابن العبري** : أبو الفرج (ت ٦٨٥ هـ / ١١٥٦م)

– تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاتوليكية ، بيروت ، ١٩٥٧م .

- **أبو الفداء** : عماد الدين إسماعيل بن علي محمود (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م)

– المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت .

- **ابن القلانسي** : أبو يعلى حمزة بن أسد (ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م)

– ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ، ١٩٨٣ .

- **ابن قاضي شهبة** : بدر الدين (ت ٨٥١ هـ/١٤٤٨ م)

– الكواكب الذرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت ، ١٩٧١.

- **القلقشندي** : أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)

– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩٢٠ .

- **ابن كثير** : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٢م)

– البداية والنهاية ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

- **ابن منقد** : مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م)

– الاعتبار ، تحرير فيليب حتى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

- **المقريزي** : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

١.إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق محمد حلمي محمد ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٢.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، د.ت .

- **النويري** : شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م)

– نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

- **ابن واصل** : جمال الدين محمد (ت ٦٩١ هـ/١٢٩١م)

– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

- **ياقوت الحموي** : شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٢٨م)

– معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ثانيًا : **المــراجع** :

- **بيطار ، أمينة**
  - تاريخ العصر الأيوبي ، دار الطباعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٨٢ .
- **بيضون ، جميل وآخرون**
  - تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السادس ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ١٩٨٩.
- **بسام العسلي**
  - نور الدين القائد ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- **بن موسى ، تيسير**
  - نظرة عربية على غزوات الأفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، د.ت .
- **تبريزي ، عليا ديب**
  - المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود زنكي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
  - معجم الأماكن السورية ، دمشق ، ١٩٩١ .
- **توفيق ، عمر كمال**
  - مملكة بيت المقدس الصليبية ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ .
- **جولي ، وفاء**
  - دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ،(٤٩٢-٥٦٩هـ/١٠٩٨-١١٧٤م) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- **حبشي ، حسن**

- نور الدين والصليبيون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

- **حاجي ، خليفة**

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ، بيروت ، د.ت .

- **خليفة ، جمال محمد سالم**

- محاولات المواجهة العربية الإسلامية ضد الغزو الصليبي في المشرق العربي موقف فقهاء الشام وقضاتها من الغزو الصليبي (٤٩٢-٦٦٠هـ/١٠٩٨-١٢٦٢م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ٢٠٠٠م .

- **خليل ، عماد الدين**

- عماد الدين زنكي ، الدار العلمية ، بيروت ، ١٩٧١ .

- **زيتون ، عادل**

١. العلاقات الاقتصادية بين المشرق والغرب في العصور الوسطى ، دمشق ، ١٩٨٠ .

٢. العلاقات السياسية والكنيسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاثيني في العصور الوسطى ، دمشق ، ١٩٨٠ .

- **شاهين ، محمد**

- فلسطين أرض وحضارة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٥ .

- **طماس ، حمدو**

- أهم الأحداث التاريخية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٣ .

- **عاشور ، سعيد عبد الفتاح :**

١. تاريخ الحركة الصليبية ، ترجمة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ .

٢. تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .

- **عطا ، زبيدة**

– الترك في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- **عطية ، حسين محمد**

– إمارة إنطاكية الصليبية والمسلمون ، تقديم جوزيف نسيم يوسف وبترولیان، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ .

- **عبد العزيز سالم ، السيد . عبد العزيز سالم ، سحر**

– تاريخ الأيوبيين والمماليك ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٩.

- **عوض ، محمد مؤنس أحمد**

– في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ١٩٩٨ .

- **عمران ، محمود سعيد**

– تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

- **غنيم ، حامد**

– الجبهة الإسلامية في عصر الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

- **فيشر ، هربرت**
- أوروبا في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- **قلعجي ، قدري**
- صلاح الدين الأيوبي ، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر ، دار الكتاب العربي ، د.ت .
- **كرد ، على محمد** (ت ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣م)
- خطط الشام ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، بيروت ، د.ت .
- **الحويري ، محمود**
- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين ١٢-١٣ ، القاهرة ، ١٩٧٩
- **السيد أمير ، على**
- مختصر تاريخ العرب ، ترجمة : عفيف البعلبكي ، بيروت ، ١٩٦١ .
- **الشطشاط ، على حسين**
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مجلس تنمية الإبداع الثقافي ، الجماهيرية ، ٢٠٠٤ .
- **العريني ، السيد الباز**
- تاريخ الحروب الصليبية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- **العسلي ، بسام**
- مشاهير الخلفاء والأمراء نور الدين القائد ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٨
- **المطوي ، محمد عروسي**

- الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، دار الغرب إسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ .

- **المنجد ، صلاح الدين** (ت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٢٠م)
- خطط دمشق نصوص ودراسات ، المطبعة الكاتوليكية ، بيروت ، ١٩٤٩ .

- **النبراوي ، فتحية**
- العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصر الوسيط ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

- **النعيمي ، عبد القادر** (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١م)
- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

- **الهرفي ، محمد علي**
- شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- **اليوسف ، عبد القادر أحمد**
- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

- **محمد ، حلمي محمد**
- مصر والشام والصليبيون ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

- **يوسف ، جوزيف نسيم**
- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .

ثالثًا : **الدوريـــات** :

- **بدر ، أحمد**
  - الأندلسيون والمغاربة في القدس ، مجلة أوراق المعهد الإسباني العربي للثقافة ، العدد٤ ، ١٩٨١ .
- **توفيق ، سامية**
  - الثروة الزراعية في إقليم خراسان ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، العدد ٣ ، ١٩٨٥ .
- **زابورف ، ميخائيل**
  - الصليبيون في الشرق ، مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، العدد ٥٨ ، ١٩٨٩ .
- **غانم ، عماد الدين**
  - المدرسة الطبية الدمشقية إحدى مظاهر السياسة الثقافية خلال الفترة الزنكية الأيوبية ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد ١ ، ١٩٨٥.